روايات عبير



أن ويل

الكلمة الأخيرة

روايات عبير

الكلمة الأخيرة

لماذا لا أتزوج هذا الرجل وأدفن نفسي معه؟ هكذا قالت أنطونيا لنفسها بعد ان مات حبها الأول باكو. وعاشت بعد الفاجعة مقتنعة بأن قلبها مات. امرأة بلا قلب بلا عاطفة تتزوج أي رجل، وما دامت ميتة فما الفرق؟ تزوجت انطونيا من كال الرجل الذي أحبها من أول نظرة ودخلت معه بيت الوهم، بيت النسيان. بذل كال ما في وسعه لاسعادها، الا ... انطونيا مكبلة بالذكريات القديمة وقلبها محطم سعادة ماضية سرقت منها.

وعرف الزوج بحكاية زوجته واكتشف بأن باكو هجرها لقاء مبلغ من المال. صارحها بالواقع المر ولكن انطونيا لم تصدق واعتبرته يغتال اوهامها الجميلة انتقاماً لكرامته. كانت بين حجرين... حجر الماضي الذي عاد حاضراً... وحجر الحاضر الذي عاشته تحلم بالماضي وهنا تحرك القلب وقال كلمته الأخيرة فانصتت انطونيا وتبعته.

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية

SEPARATE BEDROOMS

المراسلات
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١ـ شرنقة الذكريات

كانت انطونيا مارلو ابنة رجل انكليزي قضى معظم أيام حياته في اسبانيا. وفي صبيحة يوم زواجها من الرجل الذي اعجبت به من دون أن تعشقه، جلست في غرفة نومها تفكر في ليلة زواجها بشيء من القشعريرة المفاجئة. فحين خطبت منذ شهرين لتتزوج الشاب كال برنارد، الصناعي الانكليزي المليء بالحيوية والنشاط، بدا لها أن هذا الزواج سيتيح لها الهرب من تعاستها المتزايدة منذ وفاة والدها الحبيب. أما الآن، وقد حان الوقت لتكرس بقية أيام حياتها لرجل لا يزال غريباً عنها، فقد استولى عليها الشك والخوف.

كانت جالسة أمام المرآة، فيما أخذ أشهر مزين للشعر في مدينة فالنسيا يصفف لها شعرها استعداداً لحفلة زواجها ذلك النهار.

ورجعت بها الذاكرة الى اليوم الذي وقع فيه نظرها على الرجل الذي لم يضمها بعد الى صدره ضمة العاشق الولهان، ولكنه مع ذلك سيصبح قبل حلول الظلام زوجها الشرعي.

وعلى الرغم من أنها ولدت في فالنسيا ونشأت فيها الاّ أنها احتفظت بصفات والدها الانكليزي، ولم ترث عن والدتها الجميلة دونا الينا سوى عينيها الواسعتين وقامتها الهيفاء. شعرها اشقر كشعر والدها، وكذلك مزاجها. وهذا ما جعلها بعد وفاته تستصعب القيود التي كانت تفرضها على سلوكها في الحياة، اقامتها في ذلك المنزل الذي كان يخص عند ولادتها أجدادها الاسبانيين وأصبح اليوم ملك خالتها الصارمة تيا انجلا.

وكانت تيا انجلا هي التي قررت بيع المنزل الريفي فيكا دي لا فليبدا الكائن على سفح الجبل، على مسافة ما يقارب الستين ميلاً جنوب فالنسيا، وكان هذا المنزل الذي اشتراه جون مارلو ورممه وأثثه على الطراز الانكليزي بشيء من الذوق والدقة. لذا شق على انطونيا ان تعلن خالتها عزمها على بيع ذلك المنزل الريفي الذي كان يروق لها جداً. ففيه قضت أحلى أيام حياتها. وفيه كانت تشعر بأنها تحصل على الراحة التامة.

وكانت انطونيا تشارك والدها في تفضيله الغرف المليئة بالنور، ولذلك كان صدرها يضيق بالقصر العائلي القاتم. بينما في المنزل الريفي تشعر بأنها شخص آخر. فلا عجب ان يكون امكان بيع ذلك المأوى الهنيء ضربة اخرى في سنة جلبت لها الكثير من التعاسة والشقاء. وكانت انطونيا تعرف ان لا جدوى من مناشدة أمها الوقوف في وجه ما عزمت عليه خالتها. ذلك ان دونا الينا كانت عاجزة عن معاندة شقيقتها الكبرى ذات الارادة الفولاذية. وداخل انطونيا الشك في ان خالتها انما عزمت على بيع المنزل الريفي نكاية بزوج شقيقتها الانكليزي الذي لم تكن تطيقه، والذي جعلها تغار من ولاء شقيقتها له. اما الآن، فبعدما توفي أصبح بمقدورها أن تستبد بابنته التي كانت تحظى منه بقدر زائد من الحرية. وحرص جون مارلو على أن لا يفسد طراز المنزل الريفي القديم، عندما أدخل عليه عدة تحسينات زادت في فخامته فضاعفت قيمته المادية. ولذلك لم يكن يقدر على شرائه الاّ الاثرياء، مما جعل الاقبال عليه ضئيلاً وأراح بال انطونيا بعض الشيء.

ولكن في يوم من الأيام أعلن خالها، وهو أرمل يدير شركة صناعية كبرى، أن صديقاً له من التجار الانكليز يدعى كال برنارد يميل الى شراء المنزل، وانه دعاه الى قضاء ليلة أو ليلتين، وهو في طريقه من اليكانتي الى فالنسيا.

وفي عطلة الاسبوع التي تلت، ذهبت انطونيا الى زيارة المنزل الذي تحبه، يرافقها خالها تيو باكين ووالدتها، وخالتها التي تكره المنزل. واعتبرت انطونيا ان هذه الزيارة قد تكون الأخيرة.

وحين وصلوا الى المنزل في الساعة الحادية عشرة صباحاً، بقيت انطونيا هناك، بينما اكمل تيو ووالدتها طريقهما الى عيادة خادم الأسرة وهو على فراش الموت.

ولم يكن أحد يتوقع وصول السيد برنارد قبل وقت تناول طعام الغداء في الساعة الثالثة، فقررت انطونيا قضاء بقية ساعات الصباح في السير على طريق البغال التي تلف وتدور على سفح الجبل الواقع خلف المنزل. وكانت تلبس بنطالاً يقي ساقيها شرّ الاشواك، وتحمل كيساً وضعت فيه اشياءها وبعض الزاد، مع زجاجة ماء معدني.

وفي طريق عودتها بعد ذلك بساعتين، شعرت بالحزن وهي تفكر في والدها وفي باكو. ثم التقت رجلاً طويل القامة، فأدركت في الحال انه اجنبي. وبما ان الاجانب كثيرون في تلك الانحاء فانها استغربت

حين وقف الرجل في طريقها وحياها مصافحاً وقال انه كال برنارد.

ولو لم يكن كال برنارد طامعاً في شراء المنزل لاحبته على الفور. فهو بقامته الطويلة وكتفيه العريضتين ذكرها بوالدها. وكان يخيّل اليها، قبل أن تراه، أنه في عمر والدها، فاذا به في عز الشباب وله بنية رقيقة مكتنزة لا تشبه مطلقاً تلك التي تميز بها معظم رجال الاعمال الاسبان الساعين وراء الغنى. ذلك ان السيد برنارد الذي لم يبلغ الاربعين من العمر لم يعد من هؤلاء الساعين. فهو وصل الى ما يريد بحيث أصبح ثمن المنزل مع كونه باهظاً، في متناول يده.

فأجابته انطونيا بالانكليزية:

ـ صباح الخير، سيد برنارد. كيف عرفت من أنا؟

فأجابها:

ـ أعطاني أحدهم أوصافك. فقال ان قامتك رائعة الجمال، وشعرك اشقر، وعينيك كزهر عسل غامق اللون. وظننت انه يبالغ في هذا الوصف الى ان رأيتك. ولا يمكن هذا الوصف أن ينطبق على أكثر من فتاة واحدة في هذه الانحاء.

فاحمرّت وجنتا انطونيا من الحياء، لا لأنها لم تكن معتادة على المديح فهي منذ طفولتها تسمع الناس يثنون على جمالها، مع أن والدها لم يكن يحبذ العادة الاسبانية في كيل المديح للأولاد، بل لأن تلك النظرة التي رمقها بها السيد برنارد لم يسبقه إلى مثلها أحد من قبل.

فقالت له بفتور:

ـ آسفة ألا تجد أحداً في المنزل لاستقبالك. خالي ذهب إلى مكان ما في الجبال لمقابلة رجل عجوز كان يشتغل عندنا وهو الآن على فراش الموت. وأنا لم أتوقع قدومك الا بعد حين، ولولا ذلك لما خرجت للنزهة.

فأجابها:

ـ أنا الذي يجب أن يعتذر على قدومي باكراً. انهيت عملي في اليكانتي بأسرع مما توقعت، فرأيت أن أقضي أطول وقت ممكن هنا في الريف قبل استئناف سفري الى برشلونة.

وجال بنظره في تلك الأرجاء وتابع قائلاً:

ـ هذا جزء رائع الجمال من اسبانيا، وهو كثير الخضرة كانكلترا.

فأجابته انطونيا:

ـ نعم، وأنا أحب هذا الوادي، لاسيا في شهر شباط (فبراير) حين يزهر اللوز.

وفيما أخذ يتمتع بمرأى البراعم البيض الوردية على أشجار اللوز المنتشرة في الحقول الواطئة، كانت انطونيا تنظر اليه بتأمل. فهي لم تتعرّف في حياتها كلها الى وطن والدها الأصلي، كما أنها لم تلتق الا القليل من الانكليز. وكان المنزل الريفي في منطقة اسبانية ذات مناخ معتدل في الشتاء، مما جعل الاقبال عليها شديداً من قبل المغتربين عن بلادهم. ولكن معظمهم كان من الذين احيلوا على المعاش بعد بلوغهم سن الشيخوخة.

وفي الصيف كانت انطونيا تستجم مع والدها في مسبحها الخاص، أو تستقل وإياه مركباً يحملها الى كهوف لا يمكن الوصول إليها عن طريق الشاطىء حيث يكثر السواح. ولذلك فلم يتسن لها معرفة أحد من جيل كال برنارد وطرازه. واعتادت انطونيا أن تعيش بين رجال عيونهم بنية اللون أو رمادية اللون أحياناً، فلا عجب أن تجد عيني كال الزرقاوين أبرز ملامحه. واكتشفت فيما بعد لماذا كان أنفه غريب الشكل، حين علمت انه أصيب بلكمة في صغره. وهذا ما أكسب وجهه، اذا نظرت اليه من جانب واحد، مزيداً من الصلابة. وقلّما كان لأحد من الطبقة العليا أو الوسطى من الاسبان

ذلك النوع من الوجه الذي كان سائداً لدى الغجر ومصارعي الثيران.

وفيما هذه الفكرة تخطر ببالها، التفت كال فجأة، فوجدها تنظر اليه بامعان. وكان بينهما مرتفع وقف هو في اسفله، ولكنه لطول قامته بقيت عيناه أعلى من مستوى عينيها. فقال لها:

- انت فتاة غير اعتيادية، يا آنسة مارلو!

- أنا؟ لماذا؟

فقال لها:

- لأنك لم تسأليني من وصفك لي ذلك الوصف الشعري. اما لديك حب الاستطلاع لتعرفي من يكون هذا المعجب بك؟ أم انك تعودت المديح فلم يعد يثير اهتمامك؟

فقالت له:

- حظيت بوالدين لا يعوزهما حسن النظر، ايها السيد برنارد. فأمي أجمل مني بكثير. وعلى أية حال، اعتقد أن الذكاء أهم من جمال الوجه، فهو بخلاف الجمال يدوم طوال الحياة.

فقال موافقاً:

- هذا صحيح. ولكن الجمال، ما دام باقياً، فهو يبعث البهجة في النفس أكثر من الذكاء.

فأجابت:

- ربما للآخرين، لا للذين يعنيهم الأمر. أنا أفضل أن أكون ذكية مثل والدي الذي توفي السنة الماضية.

فقال من دون ان يظهر الأسى كما هو مألوف:

- نعم علمت بذلك.

ونزلا الجبل، واحدهما يتبع الآخر. وكانت انطونيا في المقدمة. ولما وصلا الى المنزل سألته اذا كان يجب أن يتناول فنجاناً من الشاي أو يريد الدخول الى غرفته أولاً. فأجابها بأنه يفضل كأساً من الشراب. ثم أخذ يجول بنظراته في غرفة الاستقبال التي كانت رفوفها تغص بالكتب وجدرانها باللوحات الفنية التي حرص والد انطونيا على اختيارها وجمعها طول حياته:

- هل تهوين القراءة، آنسة مارلو؟

- نعم، كثيراً جداً.

- بالانكليزية كما بالاسبانية؟

- نعم، ولكن بالانكليزية اكثر.

وهنا عاد الآخرون. ولم تأخذ انطونيا بنصيب من الحديث طوال بقية النهار. وبدا لها منذ البداية أن كال برنارد أحب المنزل. وحين اقتربت الساعة العاشرة ليلاً، وفيما كان الجميع يتناولون طعام العشاء، أعلن كال برنارد عن عزمه على شراء المنزل، بما فيه الاثاث وما إليه، لكي يكون صالحاً للسكن في الحال.

فوافق خال انطونيا على ذلك قائلاً:

- لا حاجة لنا الى ما يحتوي المنزل من أثاث وما إليه. فهذه الاشياء اختارها صهري وهي لا تلائم ذوقنا في هذه البلاد.

فسارعت انطونيا الى القول باحتجاج:

- لكنني أريد الاحتفاظ بأشياء والدي.

فقالت لها أمها:

- واين تضعينها يا عزيزتي؟ أنا على يقين أن السيد برنارد لا يمانع في أن تحتفظي لنفسك بلوحة أو لوحتين، وربما بعدد قليل من الكتب. أما ان تحتفظي بكل شيء في المنزل فهذا مستحيل!

وقال السيد برنارد، وكان جالساً قبالتها:

- نعم، يحق لك ان تحتفظي ببعض ما يذكرك ... يا آنسة مارلو.

فقالت بصوت خافت، والدموع بدأت تتساقط على خديها:
- أشكرك على ذلك!
ولم يكن يخطر ببالها أن تفتقد المنزل ومحتوياته أيضاً، بل حسبت أن المحتويات ستحرز [illegible] تركها الى أن يصبح لها منزلها الخاص بها. وذلك مع العلم أن هذا لن يحدث في وقت قريب، نظراً لانتهاء علاقتها مع بكو.

وفي اليوم التالي نوت انطونيا التغيب، تاركة خالها تيو بواكين ووالدتها للاهتمام بخدمة الضيف. ولكنها لم تكد تسير قليلاً في نزهتها حتى سمعت صفيراً على مسافة منها. ولما نظرت الى مكان الصوت شاهدت السيد برنارد يصعد الطريق مقبلاً نحوها.

وحين اقترب منها سألها قائلاً:
- هل تسمحين لي بمرافقتك؟
فاجابته بلباقة:
- اعتقد [illegible]
ولكن السيد برنارد كان من الفطنة بحيث لاحظ نبرة التردد في جوابها فقال لها:
- هل يزعجك حضوري، يا آنسة مازلو؟ ام ان ما يزعجك هو أنني سأحرمك من المنزل الذي تحبينه كثيراً؟
فأجابت قائلة:
- آسفة اذا كنت اعطيتك مثل هذا الانطباع غير الودي... من الصعب على الانسان أن يفارق منزلاً أحبه. قد يبدو ذلك سخيفاً في نظرك، ولكنني دائماً شعرت بالغربة في منزل والدي الذي في فالنسيا. فانا في ميولي أشبه والدي، وأشعر أنني انكليزية أكثر مني اسبانية، على الرغم من أنني عشت هنا طوال حياتي.
- أوافقك على انك تشبهين والدك أكثر مما تشبهين والدتك، ولكنك بلا ريب لا تشبهين معظم الفتيات الانكليزيات اللواتي في عمرك.
- صحيح؟ ومن أية ناحية؟
- لك صفات لم تعد دارجة في انكلترا هذه الأيام، من حيث اللطف والتواضع. وكلامك لا تخالطه ألفاظ نابية، ولا في تصرفاتك شيء من الوقاحة. وأكثر الظن انك لا تزالين عذراء!

فلم تجب انطونيا بكلمة، ولكن احمرار خديها دلّ على أن ظنه كان في محله. وفيما هما سائران زلت قدمها، فتأوهت من الألم. وحين أسرع إليها كال وكشف عن موضع الألم وجد أن الورم قد بان عليه.

وقالت انطونيا:
- آسفة لما حدث. واللوم يقع علي.
وتطلع كال إليها وقال:
- لا، اللوم يقع علي لأني أثرتك بملاحظاتي الصريحة. والآن، فكاحلك بالتأكيد يحتاج الى علاج، وعلي أن أحملك الى المنزل. وبما أني لست سوبرمان، فعليك أن تضعي ذراعيك حول عنقي وتتعلقي بي وأنت مستلقية على ظهري.

وعلى الرغم من الألم الحاد الذي كانت تشعر به، فأكثر ما أثارها هو شعره الداكن اللون القريب من وجهها، ورائحة بشرته الذكية التي لا عهد لها بمثلها من قبل.

وعندما وصلا الى المنزل، وجدت انطونيا والدتها مستسلمة للراحة، وخالها غائباً. وكان كال هو الذي عالج قدمها، فوضع عليه قطعاً من الثلج وضمده بقطعة من القماش. وقال لها كال بعد حين:
- سأعود الى هنا بعد شهر، وفي غضون ذلك تكونين قررت أي أشياء تريدين الاحتفاظ بها!
وفي صباح اليوم التالي غادر كال المنزل الى برشلونة، وانطونيا لا

تزال نائمة في فراشها.

وبعد ذلك بأسبوعين جاءها أحد الخدم برزمة عليها طابع بريد انكليزي فظنت لأول وهلة أنها مرسلة الى والدها من احدى المكتبات التي كان يتعامل معها. ولما فتحت الرزمة وقلبت غلاف الكتاب، وهو رواية بوليسية مثيرة، قرأت هذه الجملة الموجهة اليها: بانتظار لقائنا المقبل، حين آمل ان نكتشف أشياء أخرى تكون جامعاً مشتركاً بين ذوقي وذوقك. وكانت موقعة بالحرفين الأولين من اسمه، ك. ب.

وكان لقاؤها المقبل في فالنسيا، حين دعاها كال مع أمها وخالها الى تناول طعام العشاء في فندق راي دون جايم وهو أفخم فنادق المدينة. ولو أنه دعاهم الى فندق استوريا او رينا فكتوريا فما قلل ذلك من سرورها. غير أن فندق راي دون جايم كان حديثاً وعلى الجانب الشمالي من النهر. وفيما كانت تتناول المآكل الشهية، لم يغب عن بالها أنها عاشت فيما مضى، على مقربة من مكان جلوسها أجمل ساعات حبها الضائع.

كانت مدينة فالنسيا مقسومة الى قسمين بنهر ريو توريا الجاف والسبب في جفاف النهر هو أن مياهه تحولت الى سواقي تروي حقول الارز وبساتين البرتقال المحيطة بالمدينة. ولم يكن من المستغرب ان نرى قطيعاً من الغنم يرعى في ظلال الجسور التي كان يقوم بين اثنين منها ملعب لكرة القدم. وكان وسط المدينة وأجمل بناياتها وآثارها التاريخية يقع على الجانب الجنوبي من المدينة، بينما احتفظ الجانب الشمالي بالجامعة ومتحف الفنون الجميلة. وكان فرنسيسكو بنيتيز المعروف لدى الجميع بلقب باكو، يقيم مع عائلته في شقة كائنة على الجانب الشمالي قرب الميناء، وهو موضع لا تزوره عادة فتاة مثل انطونيا. ذلك أنه كان حياً تقطنه طبقة العمال الذين حرصوا على

نظافة مساكنهم وتزيين شرفاتها بأحواض الزهور. وكان الصغار الذين يلعبون في الازقة مزعجين أحياناً، مثلهم مثل سائر الصغار في أزقة المدن كلها. وفي أيام الدراسة كانوا يلبسون ثيابهم ويسرحون شعورهم كما يجب، بحيث لا يمكن تمييزهم عن تلامذة الأحياء الثرية الا بشيء واحد، وهو انهم كانوا يذهبون الى مدارسهم سيراً على الاقدام، عوضاً عن نقلهم بسيارات أهاليهم الفخمة التي كان يتولى قيادتها سائقون خصوصيون. وبالتالي لم يكن في مظهر باكو ما يميزه عن أبناء اصدقاء الدونا إلينا.

وفي ذكرى مولدها التاسع عشر، وقبل وفاة والدها جون مارلو المبكر ببضعة أشهر، ورغم معارضة تيا انجلا، أهداها والدها سيارة خضراء جميلة. وفيما هي تقودها في شارع يغص بالسيارات، توقف المحرك عن الدوران، مما حمل السائقين على استعمال زماميرهم واثارة الضجيج. وجذب جمالها انتباه المارة من الرجال فتحلقوا حول سيارتها في محاولة لمساعدتها أو لاظهار احتجاجهم على خلو الطريق من رجال شرطة السير لمعالجة الموقف. وعبثاً نجحت انطونيا في اقناعهم بدفع سيارتها الى جانب الطريق.

ولكن شاباً في مثل سنها تقدم من بين الجماهير مقبلاً إليها، وتكلم في اذنها مشيراً عليها بهدوء أن تزيح عن مقعدها وتسمح له بقيادة السيارة. ولما فعلت صعد وراء المقود وأدار المحرك بكل سهولة. وعندئذ شعرت أنطونيا بانفراج لم تشعر به في حياتها، وخصوصاً عندما قاد السيارة الى الامام وسط الرجال المتجمهرين امامها. فسألته وهما يقطعان أحد الجسور الكثيرة التي تصل ضفتي النهر:

ـ ماذا طرأ على السيارة؟

ـ عطل بسيط أوقف المحرك مؤقتاً. أين كنت ذاهبة حين وقع الحادث؟

والتفت اليها باسماً، فأدركت في الحال انه الرجل الذي تنتظره كل حياتها! وقالت له:

- كنت ذاهبة الى البيت.

- أين هو؟

ولما أخبرته علا جبينه شيء من العبوس، فظنت انه اعتبر الطريق بعيدة، فقالت له:

- لا لزوم لمرافقتي الى هناك. يكفي ما أسديته لي من خدمة اشكرك عليها. وأنت الى أين كنت ذاهباً؟

- الى مكان ما. ربما لأتناول طعام الغداء في أحد المطاعم.

ولم يكن من عادة انطونيا ان تتحدث الى الغرباء بمثل هذه الجرأة، ولكنها هذه المرة رأت ان فرصتها سنحت وعليها ان تغتنمها، فقالت له:

- لماذا لا تتناول طعام الغداء في منزل؟ والدتي ليست في البيت هذا النهار، ولكني [illegible] على ما فعلته لي.

وتردد الفتى قليلاً، ثم نظر اليها ثانية وقال:

- نعم، بكل سرور أقبل دعوتك!

وكان المنزل في الحي القديم من المدينة، حيث تكثر الأزقة الضيقة، مما حمل الفتى على زيادة الاهتمام بقيادة السيارة، وهذا اتاح لانطونيا ان تدرسه بامعان.

كان شعره قصيراً، فهل كان جندياً في الجيش وربما في إجازة؟ أم انه كان انهى حديثاً دورة خدمته العسكرية الالزامية؟ وفي أية حال لم يجعله قصر شعره أقل وسامة مما هو على طبيعته.

ولم يكن في بناء المنزل الخارجي المتواضع ما يفصح للغريب ان داخل تلك النوافذ المغلقة وذلك الباب المطعم الضخم، ما جعله من أفخم قصور المدينة.

وقالت انطونيا لرفيقها:

- اكبس على الزمور فيجيء فيدريكو ويفتح لنا البوابة.

وكان خلف البوابة ساحة تحيط بها اسطبلات تستخدم الآن مرائب للسيارات، وفيها وراءها باحة حولها سلالم تصعد الى جوانبها. ومن هذه الجوانب تستطيع ان ترى من خلال الأبواب الزجاجية المستطيلة حديقة جميلة تتوسطها بركة ماء مرتفعة ونبع ماء فوار.

وقالت له انطونيا وهي تقوده الى الحديقة:

- لا أعرف اسمك.

- باكو... اسمي باكو بنيتيز، يا سيدتي.

- أنا انطونيا مارلو. والدي رجل انكليزي.

وكانت العادة لدى الاسبان، حتى الذين في مقتبل العمر، أن يتصافحوا بعدما يتعارفون. وحدث أن تيا انجلا كانت تتناول طعام الغداء خارج المنزل، وهكذا خلا لانطونيا ورفيقها أن يتناولا طعامهما معاً، بمعزل عن رقابة أحد، مما سهل عليهما مجال التعارف بمزيد من السرعة. على أن باكو أدرك منذ البداية الحاجز الاجتماعي الذي يفصل بينهما. فقبل أن يودعها عائداً الى عمله كموظف في شركة، قال لها:

- أحب ان أراك مرة ثانية، ولكني اعتقد أن والدتك لا ترحب بذلك.

ووافقت انطونيا في قرارة نفسها على كلام باكو، فهو من طبقة لم تكن عالية في السلم الاجتماعي الى درجة تسمح له بالدخول الى الوسط الذي تعيش فيه أسرتها.

ولو كان الأمر عائداً لباكو، لتوقفت علاقتهما عند هذا اللقاء الاول. ولكن انطونيا التي جذبت اليها، وهي بعد في السادسة عشرة

من عمرها، انظار الشبان في وسطها الاجتماعي، لم تجد في أحد منهم ما يعني لها شيئاً. وهي الآن تتخبط في غرام باكو، مثلما وقعت والدتها في غرام والده، الأرمل، وعشرين سنة خلت، على الرغم من معارضة جدها وجدتها.

وكان، اذن، من الطبيعي ان تتوقع معارضة والدتها واقربائها لأي علاقة تقيمها مع باكو، ولكنها دهشت أشد الدهشة حين دعاها باكو الى بيته فلاحظت ان والدته هي أيضاً لم تكن تنظر بعين الرضى الى مثل تلك العلاقة. وبذلت انطونيا جهوداً استغرقت عدة اسابيع لاقناع باكو بأن الوسيلة الوحيدة للتغلب على معارضة الأهل هي ان يذهبا معاً الى مكان بعيد. وهكذا يوضع الجميع أمام الأمر الواقع، ويعمد خالها الى مساعدة باكو، صهره الجديد، على تحسين وضعه الاجتماعي والمالي.

واخذت انطونيا، بعدها تعد العدة للهرب والزواج بحبيبها باكو. فحجزت غرفة في أحد الفنادق [illegible] على بعد [illegible] كيلومتراً من مدينة فالنسيا.

وبعد ذلك لم تعد تتذكر الحادثة التي أفقدتها وعيها والتي وقع فيها باكو قتيلاً. وعند انقضاء يومين على معالجتها في مستشفى قريب من مكان الحادثة، نقلت الى مستشفى خاص في فالنسيا.

وفيما كانت أمها جالسة قربها على السرير، عاد إليها شيء من الوعي فتذكرت أنها قبل أن تستيقظ في فراش لم يكن فراشها كانت في السيارة مع باكو.

وحين تمتمت اسمه، قبضت الدونا الينا على يدها، ودموع الشفقة والحزن تملأ عينيها وقالت لها:

- ذهب يا حبيبتي. عليك ان تحاولي نسيانه. واشكري الله على انه لم يصبح معاقاً كسائر الفتيان الذين تنزل بهم الكوارث في الطرق

هذه الأيام. ان كنت تحبينه لفضلت فقدانه على رؤيته معاقاً...

ولما جاءت والدتها مرة ثانية لعيادتها، سألتها انطونيا:

- هل أنت غاضبة علي كثيراً؟

- كلا، بل شاكرة لأنك نجوت.

ومرت أيام كثيرة قبل أن تقبل بواقع وفاة باكو. وغادرت المستشفى وقلبها لا يزال يقطر دم الأسى والحزن المرير. وفي يوم من الأيام، فيما هي تتناول طعام الغداء مع والدتها وخالتها، قالت لهما بغتة:

- يجب أن أذهب لزيارة والدته...

فتبادلتا النظرات، وقالت خالتها تيا انجلا بحزم:

- لا، يا عزيزتي. هذا لا يجوز، لأنه يجدد حزنها.

ومنذ وقوع الحادثة صارت تيا انجلا أكثر حناناً من قبل، حتى أنها امتنعت عن توجيه كلمة تأنيب أو لوم الى انطونيا.

والتفتت انطونيا الى والدتها وسألتها قائلة:

- وما رأيك أنت يا أماه؟

فترددت الدونا الينا بالجواب ثم قالت:

- أوافق خالتك على رأيها. فالسيدة بنيتيز لا بد من ان تحسب انه لولا علاقتك بابنها باكو، لما حدث له ما حدث...

وتعاونت الأم والخالة على اقناع انطونيا بأن من الحكمة أن ترجىء زيارة عائلة باكو الى اشعار آخر.

وبعد ذلك بنحو شهر، كانت انطونيا تمر قرب حانوت الزهور في شارع ديل كوديللو بوسط المدينة، اذا بها تلمح السيدة بنيتيز مقبلة نحوها ترتدي السواد من رأسها الى قدميها، وفوق شعرها شال من الحرير الأسود.

ولم تكن انطونيا وحدها بل كانت تتسوق برفقة صاحبتها امبارو

فيدال وتذكرت انطونيا تحذير خالتها لها بأن أقل اشاعة عن كيفية وقوع الحادثة سيضرّ بسمعتها فقالت لامبارو:

- أرجوك أن تسبقيني الى حانوت الأحذية، وسأتبعك عما قريب بعد ان اتحدث قليلاً الى هذه المرأة المقبلة نحونا.

وأدركت ان السيدة بينيز رأتها وعرفتها، فامتلأت عيناها بالدموع وقالت لها:

- اغفري لي، يا سيدتي...

فقاطعتها السيدة بينيز قائلة بقساوة:

- لن أغفر لك وكيف تجرؤين على التحدث إليّ، أيتها الفتاة الشريرة! انت السبب في فقداني ولدي. حذرته من أن لا خير ينجم عن صداقته لك، وكان قطع علاقته بك لولا ملاحقتك اياه من دون حياء... يقولون ان اسبانيا اصبحت بلاداً ديمقراطية الآن، ولكن يبدو لي ان الأغنياء لا يزالون يشعرون [illegible] بأنهم قادرون على شراء الحلول [illegible] علينا ان نتحمل كل المتاعب... أوه، ها هو الباص!

وهرعت السيدة بينيز نحو الباص تاركة انطونيا في ألم وحيرة من امرها. ولم يقتصر سماع كلام السيدة على امبارو، بل تعداه الى المارة.

فسألتها امبارو قائلة:

- ماذا جرى؟ وما معنى الكلام الذي وجهته إليك هذه المرأة؟

وصعب على أنطونيا ان تلفلف المسألة، فقالت لامبارو:

- أنا آسفة يا امبارو... أحس بصداع ويجب أن أعود إلى البيت.

وأومأت الى تاكسي، على أمل أن تنسى صاحبتها ما جرى. ولكن امبارو اشتهرت بالثرثرة، فلم تمض بضعة أيام حتى دخلت تيا انجلا الى غرفة انطونيا، وهي في سورة غضب، وقالت لها:

- بذلت أنا وأمك جهوداً جبارة لاخفاء الفضيحة... ولكن تبين لي ان من المستحيل الاحتفاظ بالسر طويلاً. فالجميع هنا في أوساطنا يتحدث عنها...

- وماذا يقولون؟

- تماماً كما توقعت ان يقولوه، وهو أنك فقدت كل حظ بزواج معقول.

- أنا لا أريد الزواج على الاطلاق، بعد أن مات باكو.

- هذا هراء! وكيف تقضين بقية أيامك من دون زوج وأولاد؟

- افكارك لا تزال قديمة، يا خالتي... فالنساء يعملن في هذه الأيام كالرجال. وأظنك تذكرين أنني أردت استئناف دراستي الجامعية بعدما توفي والدي، ولكنك اقنعت أمي ألاّ تسمح لي بذلك.

- انك لست مؤهلة للعمل في الحياة العامة... ثم ان الجامعات تغص بالمشاغبين ومن لا خير فيهم!

وخرجت تيا انجلا من الغرفة تاركة انطونيا تفكر كيف كانت الحال تختلف عما عليه الآن لو كان والدها على قيد الحياة، عندها لم تكن مضطرة الى لقاء باكو في الخفاء، لأن والدها لم يكن ليمانع في علاقتها به. ثم ان والدها من الذين لا يرفضون باكو على أساس أنه ثري أو من طبقة ارستقراطية. فهو حين كان على فراش الموت لم يتمالك الحلم من القول، بعضهم لبعض:

- دون جون تختلف عن البشر. ذلك لأنه لم يكن يئن ويتذمر، بل بقي الى آخر يوم من حياته مبتسماً ورافضاً أن يخضع للداء الفعال الذي كان يعانيه.

وكان يقول لانطونيا:

- الحياة تظل قصيرة وان طالت، فحاولي ألاّ تهدريها يا عزيزتي.

كل يوم له قيمته. استمعي للموسيقى. اذهبي وتمتعي بمرأى الأعمال الفنية في متحف الفنون الجميلة. تلذذي بالطعام. ابتسمي للناس، ولا تنتظري أن يبتسموا لك أولاً. وحين يقع أحدهم في غرامك وتستجيبين له لا تتوقعي أن يكون كامل الأوصاف. فكما أنك لست كاملة الأوصاف فكذلك هو. واذا تفهمت هذا الأمر جيداً سعدت في حياتك.

وبعد ذلك، شعرت انطونيا أن والدها، حين اسدى إليها تلك النصيحة الأخيرة، كان يفكر بأمها التي كانت تشكو من نقص فظيع، وهو عجزها عن الوقوف في وجه اختها الكبرى.

ولا تذكر انطونيا أن والدها ووالدتها تشاجرا يوماً، ولكنها كانت دائماً تعرف ان وجود خالتها انجلا في البيت كان يعكر صفوه. ذلك لأن والدها جون مارلو لم يكن مهيأ بنشأته للمشاركة في الروابط الحميمة التي تشد افراد العائلات الاسبانية بعضهم الى بعض، وحتى أن الرابط بين الأخت واختها قد يبلغ من المكانة احياناً بحيث يتساوى مع الرابط بين الرجل وامرأته.

ولم يكن والدها يتحرر من مداخلات خالتها انجلا في شؤونه العائلية الا عندما يكون في المنزل الريفي. فهي في فالنسيا كانت دائماً تتصرف كما لو كانت سيدة البيت، وتعارض أية محاولة لتغيير أو تعديل العادات الموروثة أباً عن جد.

ومن ذلك انها هي التي أصرت على أن تتلقى انطونيا دروسها في البيت مع احدى قريباتها التي ولدت معاقة فلم تستطع الذهاب الى المدرسة. على أن ذلك لم يمنع انطونيا من معاشرة أولاد آخرين، الا أن هؤلاء جميعا كانوا من الوسط الذي تعيش فيه العائلة، والذي لا تنبت فيه الأفكار والعادات الجديدة بالسهولة التي تنبت بها في المدارس والجامعات. وبعد الدفن جلست انطونيا الى جانب كال

وهو يقود السيارة الى المنزل. وتبعتها والدتها بسيارة خالها تيو. وكان كال سأل الدونا الينا اذا كانت تسمح لانطونيا بركوب السيارة الى جانبه، فوافقت من دون تردد. وأمضى كال معظم الطريق صامتاً، ولكن بعدما اطلا على الجبل الشامخ الذي يظلل منزله الصيفي قال لانطونيا فجأة:

- في وسعك الاحتفاظ بالمنزل وكل ما يحتويه اذا شئت!

- ماذا تعني بكلامك هذا؟

- أريد أن أتزوجك. كنت عازماً أن اطلب يدك المرة الماضية، ولكنني خفت الا تصدقي بأنني أعني ما أقول. أنا من الذي يتخذون قراراتهم بسرعة. فمنذ الساعة الأولى ادركت ان المنزل هو الشيء الذي أريد، وفي يوم واحد ادركت أيضاً انك أنت الفتاة التي أبحث عنها. والآن بعد مرور شهر على ذلك لم أغير رأيي...

ومال بالسيارة الى جانب الطريق واطفأ المحرك ونظر إليها وجهاً لوجه وقال:

- زواجنا يقتضي أن نسكن في انكلترا، ولكننا سنجيء الى اسبانيا عدة مرات في السنة. وبما أنك تحسنين اللغة الانكليزية، فلا تجدين صعوبة في التكيف على الحياة في موطن والدك.

وامسك كال يديها اللتين كانتا متشابكتين قليلاً في حضنها ورفعهما بيديه الكبيرتين وقال:

- هل تروق لك فكرتي؟

- لا أعلم. لم أكن انتظرها... ولم يخطر ببالي أنك وقعت في غرامي.

فابتسم قائلاً:

- لم أقع في غرامك... عبارة كهذه تجعلني اشعر بأنها تنطوي على قفزة في المجهول، قد ينجم عنها نتائج وخيمة. ولذلك أوثر أن أقول

في حبي لك، خصوصاً وأنا نحب الأشياء ذاتها ونشعر بالميل واحدنا نحو الآخر.

واحنى كال رأسه الى الامام وعانقها عناقاً سريعاً، وحين عاد الى جلسته السابقة كانت عيناه الزرقاوان قد ازدادتا بريقاً. وقال لها:

- هل ازعجك ذلك؟

- كلا!

- كنت أنوي ان اقترح عليك الزواج هذه الليلة، ولكني لم استطع الانتظار. وبما أنني كنت واثقاً مما عزمت عليه، رأيت أن اقدم من دون أبطاء. غير أني لا أتوقع أن تجاوبيني اليوم. فأمامك وقت للتفكير في الأمر.

وادار محرك السيارة واستأنف السير وهو غارق في الصمت. وما ان وصلا الى مدخل المنزل حتى كادت تزول الهزة التي احدثتها المفاجأة. [illegible] فرح أشياء [illegible] الخفية وعرفت [illegible]، أخذت تفكر في كل ما يقدمه لها كال، وأحست بأن العقد لا يكون [illegible] كما كانت تتخوف.

كان عليها فقط أن تقبل به زوجاً لها، فتحتفظ بالمنزل الريفي وتذهب للسكن في انكلترا بعيداً عن تيا انجلا، حيث تتصرف كما يحلو لها، بمنأى عن انتقاداتها ومداخلاتها. فلو كان حبه لها عشقاً وولهاً، لشعرت أن من الخطأ الزواج به وهي تعلم حبها له لن يتعدى المودة الخالصة. أما وان له، على ما يبدو، نظرة واقعية الى الزواج، فلا داعي لأن تساورها المخاوف في هذا الشأن. ودخلت والدتها الغرفة وسألتها قائلة:

- هل أعجبتك الرحلة مع السيد برنارد، يا عزيزتي؟

وجهت اليها هذا السؤال وعلى وجهها ما يدل على أنها ادركت السبب الذي حمل كال على طلب السماح له بالعودة الى المنزل ترافقه انطونيا.

فقالت لها انطونيا:

- طلبني للزواج يا أماه!

- هذا ما تمنيته، فهو أهل لك يا ابنتي. وأنا أعتقد أنك ستكونين أسعد حالاً مع زوج انكليزي. فانت تشبهين والدك، ولا تشبهينني الا قليلاً... سأفتقدك كثيراً، ولكنك ولا ريب ستقضين وقتاً طويلاً هنا بعد زواجك.

- يبدو لي أنك واثقة من قبولي طلبه.

- بالطبع. فمن الجنون الا تفعلي. فهو يتمتع بجميع الصفات التي تؤهله للزواج بك. حسن منظره، غناه، وشبابه. ولا شك عندي أن والدك كان يوافق عليه... ولكن لو كنت مكانك لتركته ينتظر جوابك بعض الوقت.

- هل أخبرك بقصة ماكي؟

- وماذا يفيد ذلك؟ الماضي لا محل له في المستقبل. السيد برنارد لن يخبرك عن النساء اللواتي تعلق بهن في حياته!

وفي مساء اليوم التالي ردت انطونيا الجواب الى كال وهما يتمشيان على ساحل البحر عند موريرا، وهو ميناء صغير لصيادي السمك. قالت له:

- فكرت في ما اقترحته البارحة. أنا لست مغرمة بك، وانما احبك واظن، كما قلت أنت البارحة، ان ذلك افضل أساس يقوم عليه الزواج.

وهنا اخرج كال من جيبه خاتماً من الماس وقال لها:

- اذن، هل تسمحين لي بأن ألبسك الخاتم؟

- نعم. يا له من خاتم رائع الجمال. هل هو خاتم تتوارثه العائلة؟

- كلا، لا شيء كهذا تتوارثه عائلتنا. يمكن لك ابداله اذا كان لا يعجبك. فهو من الزمرد، كما قيل لي.

- لن أبدله، فهو يعجبني جداً... وهل كنت واثقاً بأني سأجيب على طلبك بالايجاب؟

- لم اكن واثقاً على الاطلاق. وكيف لي ذلك؟

وقبل كال يدها قائلاً:

- سأبذل جهدي في سبيل اسعادك، يا انطونيا.

- وأنا كذلك.

وفي ذلك المساء، حين تركهما خالها ووالدتها بعد العشاء، توقعت منه أن يضمها اليه كما جرت العادة بين خطيبين. ولكن كم كانت دهشتها حين لم يغتنم كال الفرصة لتقبيلها، وانما قال:

- سألتني قبلا اذا كان الخاتم تتوارثه عائلتنا، فأجبتك كلا. والآن اظن أنه يجب ان أوضح ان خلفيتي العائلية تختلف كثيراً عن خلفيتك العائلية. كان جدي يشتغل في المناجم، ووالدي اخترع آلة جنى منها ارباحاً طائلة فأنفق في سبيل تعليمي. وهو الآن يسكن بعد موت امي في منزل ريفي في برايتون مع امرأة تدعى مايزي لي كانت تعمل في أحد مقاهي لندن. أما أنا فأسكن في شقة بلندن، لأن هذا يلائمني حتى الآن. ولا شيء مثل هذا ينتظرك في انكلترا، لأننا حينما نذهب الى هناك، علينا ان نبحث عن مسكن واترك لك أمر اختيار اثاثه.

ولم يثبط ذلك من عزيمة انطونيا، بل شعرت بأن لا شيء تفضله عليه.

وتابع كال كلامه قائلاً:

- لي اخت اسمها لورا تسكن في شقة بلندن، ولها من العمر ٢٥ عاماً وهي مطلقة. أنت وإياها على طرفي نقيض، ولذلك فلا أظن انكما ستصادقان. وعلى كل حال، فلعله من الضرورة ان ترى

وجهها الا لماما.

- ماذا تعني بقولك أننا على طرفي نقيض؟

- هي أيضاً تتمتع بثقافة واسعة، ولكنك لا تلاحظين ذلك. فهي تسب وتشتم وتدخن وتشرب أكثر مما ينبغي. واذا اعجبها رجل، فلا تتردد في مغازلته. انت قادرة على مساعدتها، ولكنها ستحاول جهدها على ما اظن، أن تثيرك وتشاكسك.

فسألته انطونيا قائلة:

- وهل يوافق والدك على زواجنا، وانا نصف اسبانية؟

- بالطبع، وهو سيعجب بك في الحال. ولكني اخشى ان تجديه فظاً قاسياً. لورا تخجل من انتمائها الى عائلة وضيعة، أما أنا فلا. ورأي الناس لا أحفل به، بل أحفل فقط برأي الذين لا يتأثرون بسوابق الانسان، وانما بمواهبه الحسنة.

وذكرها كلامه هذا بوالدها مرة أخرى، ووجدت في الشبه بينهما ما يريح بالها ويطمئنها. وقبل ان تنام تلك الليلة، تمنت لو كان إليه برفق كما فعل في السيارة أمس. ولم يغب عن بالها كبح جماح عواطفه. اذ انها آثرت ان يطيل ارجاء ذلك ما أمكن.

وفي غضون الأسابيع الثمانية التي انقضت على خطوبتهما، لاحظت أنه لا يترك فرصة تمر دون أن ينظر اليها بعينين زرقاوين تفضحان رغبة، الا أنه كان يكبت عواطفه ويتصرف بانضباط شديد. وقبل حفلة زواجهما بست وثلاثين ساعة، ذهبا الى مطار فالنسيا لملاقاة والده، وشقيقته. وفيما هما جالسان ينتظران وصول الطائرة، جاء رجل وامرأة وجلسا قربهما وأخذا يتعانقان علانية من دون خجل. وتجنبت أنطونيا النظر إليهما، ولكنها لم تتمالك من أن تلمحهما مرة أو مرتين وتعجب كيف أنهما لا يباليان باجتذاب الانظار الى تصرفهما. وسألها كال قائلا بهدوء:

وما ان اقلعت الطائرة حتى قال لها:

- لو كنت محلك يا حبيبتي لاخذت قسطاً من النوم الآن. اما انا فأطالع كتاباً احمله في حقيبة يدي.

وأغمضت انطونيا عينيها وهي تشعر ان أعصابها متوترة الى حدّ لا تستطيع عنده النوم. ودهشت حين فوجئت به ينحني نحوها ويقول لها:

- حان ان تستيقظي يا حبيبتي، فستهبط الطائرة بعد قليل.

وكانت الشمس مشرقة وهما في طريقهما من المطار الى وسط لندن، فكانت هذه أول مرة تقع عينا انطونيا على وطن والدها ومكان سكناها الجديد.

وكانت امتعة كال تقتصر على حقيبتين، بخلاف أنطونيا التي كانت تنقل عدة حقائب. وحين وصلا الى الفندق وجدا شقتهما جاهزة، فصعدا اليها. وكانت تتألف من ممر وغرفة نوم وغرفة استقبال، وحمامين، احدهما خاص بالسيدات والآخر بالرجال.

وقال لها كال وهما يخرجان امتعتهما من الحقائب ويعلقانها في الخزائن:

- كلما أسرعت في تذوق الطعام الانكليزي كان خيراً لك. وبما أننا لم نتناول الطعام في الطائرة، فأغلب الظن انك جائعة الآن.

وكان كال على حق، خصوصاً فيما يتعلق بانطونيا، اذ كانت حقاً تشعر بالجوع. ولجهلها أنواع الطعام الانكليزي اختار لها كال شرائح من اللحم المحشو باللوز والعسل والتفاح، فتلذذت بها كثيراً. ثم تناولا الحلوى والقهوة، فيما كان كال يحدثها عن الاماكن السياحية التي سيريها اياها في المستقبل.

ووجدت انطونيا صعوبة في التركيز على فهم ما كان يحدثها به، اذ كان خاطرها مشدوداً الى الفراش الواسع الفخم الذي يتوسط غرفة نومهما في الفندق.

ولكن كم كانت دهشتها شديدة حين قال لها وهما خارجان من المطعم:

- الساعة لم تبلغ التاسعة بعد، فما رأيك في ان نتمشى قليلاً.

- كما تريد...

- سأصعد الى الغرفة واجلب لك معطفك.

وفيما هي تنتظر عودته، أخذت تسأل نفسها لماذا اقترح القيام بهذه النزهة. فهي لم تكن تشعر بالرغبة في النوم باكراً، ولكنها استغربت كيف ان كال لم يستعجل العودة الى غرفة النوم.

ورجع كال يحمل معطف الفرو الذي كان هدية لها من خالها تيو بواكين لمناسبة زواجها، فأمسكه بيديه واخذ يساعدها في ارتدائه.

وقالت له انطونيا:

- الا تحتاج انت الى معطف؟ فثيابك، كما أرى، رقيقة لمثل هذا النوع من الطقس.

فأجابها:

- لا احتاج الى معطف الا حين يكون الطقس بارداً جداً.

وخرجا من بوابة الفندق وانعطفا يميناً حول زاوية الشارع. وقال لها:

- هذا شارع سلون الذي سترتادينه كثيراً في المستقبل لشراء ملابسك.

وفجأة أمسكها بيدها اليسرى ومشى الى جانبها متأبطاً ذراعها. وكانت يده ساخنة كأنما كان الطقس في عز الصيف، مما جعل انطونيا تشعر بحيويته ورجولته.

ولم يظهر عليه ما يدل على ضيق الصدر، حين كانت انطونيا تتوقف بين الحين والآخر أمام واجهات المخازن. بل كان يشجعها

على ذلك ويشير الى الملابس التي يظن انها تلائمها.

وتابعا سيرهما في الشوارع المتفرعة من الشارع الذي يقع فيه الفندق. وكانت انطونيا تعجب كل العجب بما تراه في الحوانيت من بضائع جميلة تفوق حد الوصف. حتى أنها دونت على الورقة عناوين الحوانيت التي ترغب في العودة الى زيارتها في المستقبل. ومن حيث لا تدري، شعرت بالراحة لأول مرة ذلك النهار. وحين اقتربا من الفندق في طريق عودتهما اليه، ادركت انطونيا لماذا اقترح كال هذه النزهة سيراً على الاقدام. وتبادلا النظرات وهما يبتسمان، وشدّ كال على يدها بعطف فشعرت انها أقل غربة مما كانت عليه من قبل، وان كال صديق مخلص يبذل كل جهد لتسهيل الأمور لها.

ولكن عندما دخلا الفندق وصعدا بالمصعد الى غرفتها، تذكرت انطونيا ماذا ينتظرها تلك الليلة، فعاد الانقباض اليها أشد مما كان.

وفتح كال باب الغرفة ووقف مفسحاً لها طريق الدخول هو يقول لها:

ـ اريد أن استحم.

وأومأت بالايجاب وان كان حلقومها جافاً من شدة التوتر، فلم تشأ ان تتكلم لئلا يلاحظ. وفي غرفة النوم خلعت عنها معطفها وعلقته في الخزانة، ثم أخرجت ملابسها الليلية ورمقت كال بنظرة في المرآة. وكان كال خلع سترته، هو أيضاً، وشرع يفك ياقته بهدوء واتزان. وتلاقت نظراتهما، فحولت انطونيا عينيها ونهضت مسرعة نحو غرفة الحمام.

وفيما هي تستحم تساءلت كم امرأة عرفها كال من قبل، وماذا يتوقع منها هي. وتطلعت الى جسمها في مرايا الجدران، وقالت في نفسها ان هذا الجسم لم يعد لها وحدها، بل له هو أيضاً، وبعث هذا الشعور قشعريرة عنيفة في قلبها.

وكان كال سبقها الى غرفة النوم وجلس في كرسي وهو يرتدي ثوب الحمام الأبيض، وسارت انطونيا الى المرآة، فجلست قبالتها وأخذت تسرح شعرها. وكان من الصعب عليها ان تتصرف على نحو طبيعي وهي تعلم انه يراقبها. وحين شرعت تنزع الدبابيس من شعرها وتسرحه بالفرشاة سارع كال اليها قائلاً:

ـ دعيني اسرحه لك.

وأخذ كال الفرشاة من يدها ووقف خلفها وراح يسرح شعرها الطويل. وبعد حين رمى بالفرشاة جانباً وجلس قربها قائلاً:

ـ لا تفزعي مني يا انطونيا.

ووضع يده على وجهها بلطف وأداره اليه وعانقها برفق. فارتجفت يداها تحت يديه واغمضت جفنيها. فهي ان لم تستطع ان تستجيب اليه، فباستطاعتها على الاقل ان تستسلم اليه. ولكن الاستسلام اصعب مما ظنت. وبعد عدة لحظات، تزايدت سطوته وهو يعانقها.

وفجأة توقف وجلس مسترخياً وهو يتنفس بسرعة. وكانت عيناه تبرقان بريقاً غريباً قاسياً، حين قبض على معصمها ووضع يدها على صدره واخذ يضغطها على قلبه الخافق ويقول:

ـ هذا ما تفعلينه بي يا انطونيا!

وكان قلبها يسرع في خفقاته ايضاً، ولكن ليس للسبب نفسه. وتراجعت قليلاً، فقال لها:

ـ ما اجملك يا حبيبتي!

فلو كانت تحبه لأثارها هذا الكلام. اما وهي لا تحبه، فقد اقلقتها شدة عاطفته وجعلتها تنفر منه. وكم كانت الحال بخلاف ذلك حين كان باكو ينظر اليها.

فما كان منها الا ان نهضت مذعورة وأسرعت الى الفراش وارتمت

عليه وهي تشهق بالبكاء وتصيح:

- باكو... باكو!

وهنا قبض كال على كتفها وأدارها اليه بقساوة وأخذ يحدق اليها بعينيه الزرقاوين الباردتين كالصقيع، ثم انتهرها بصوت يتهدج غضباً وقال:

- من هو باكو اللعين هذا؟

٢ - خطوبة ثانية

لم يلمس أحد انطونيا بغضب من قبل. واذا كانت أمها، في مناسبة من المناسبات القليلة، وجهت اليها ضربة تأديبية خفيفة فهذا من الماضي البعيد ولم يعد محفوظاً في ذاكرتها. والمهم في معاملة كال القاسية لها، ليس الألم الذي أحست به في كتفها، وانما عنصر المفاجأة الذي انطوت عليه تلك المعاملة.

وفيما هي مستلقية على الفراش العريض، تجفف دموعها وتضبط عواطفها، مالت نظرته عن وجهها نزولاً ببطء الى كامل جسمها. غير أن ذلك لم يغير على الاطلاق ملامح وجهه القاسية. وقال مردداً هذا السؤال بوجه عابس متجهم:

- من هو باكو؟

فجلست انطونيا ومسحت الدموع عن خديها بأناملها وأجابت:

- مات. كنت مغرمة به، وهو مغرم بي، غرام حب لا اكثر ولا أقل. لم يكن صالحاً للزواج بي، في نظر أفراد عائلتي!

فلم يفه كال بكلمة وانما نهض فجأة واجتاز الغرفة الى خزانة ثيابه، فأخرج محارم من الكتان وعاد فوضعها في يد انطونيا.

- خير لك أن تستلقي الآن.

ثم خرج كال الى غرفة الجلوس. وحين عاد الى غرفة النوم كان يحمل في يده كأساً من الشراب. فناولها اياه وعاد الى اغلاق الغرفة، ثم جلس على كرسيه وقال:

- يبدو أنني كنت ساذجاً، فأخذت كل شيء على علاته!

- ماذا تعني؟

- ظننت انك ستعلمين فن الحب من زوجك مثلما كان شأن الفتيات فيما مضى. ولكن يبدو لي أنهن، حتى في اسبانيا...

فقاطعته انطونيا قائلة بصوت خافت:

- أنا... باكو لم يمسني مطلقاً.

فقال لها كال:

- ولكنك كنت مغرمة به، ولا تزالين!

فلم تنكر ذلك، فقال:

- اما كان يجب أن تخبريني بهذا الأمر منذ البداية؟

- لم اعتبره أمراً هاماً. فلو قلت لي انك تحبني لكان من واجبي أن اخبرك بالأمر. ولكنك لم تلفظ هذه العبارة... حتى في يوم زواجنا هذا!

فوقف كال على قدميه بعصبية ظاهرة وراح يذرع الغرفة ذهاباً واياباً، ثم قال:

- نعم، لم أقل لك انني احبك. لأنني لست واثقاً بمعرفتي ما هو الحب. فهو شيء دارج ومألوف، ولكنه في نظري لا يعني شيئاً كثيراً!

توقف قليلاً، ثم نظر اليها ملياً وقال:

- بي شوق شديد لأبقى معك الآن. وحين التقيتك، شعرت أنني وجدت فتاة رائعة الجمال، رفيعة التهذيب، حادة الذكاء تربي أولادي حسب السلوك وبالمقابل كنت مستعداً أن اكون زوجاً أميناً وأباً حريصاً على هناء عائلته. وبدا لي أن هذا أساس صالح لزواج سعيد لا يتزعزع. والآن عليك أن تذكري لي الأسباب التي دفعتك الى الزواج بي.

وكانت انطونيا من التعاسة بحيث لم تدرك أن هنالك اسباباً من الخير ألا تفصح عنها، فقالت:

- شعرت بميل اليك، ورأيت مع أمي أنني اكون اكثر سعادة مع زوج انكليزي. وكنت أتوق الى أن يكون لي بيت خاص بي...

- هكذا أبعد عن خالتي.

ولاحظت انطونيا أن عينيه تلمعان بالغضب، ولكن صوته كان هادئاً حين قال:

- الشر الذي تعرفينه ولا الخير الذي لا تعرفينه. أما هكذا يقول المثل؟ ولكنك قد تجدينني سيداً أقسى في معاملتك من خالتك تيا [illegible]يلا.

فأجابته بلطافة:

- لا اظن ذلك.

ورأت انطونيا بسعة حيلتها التي ورثتها من والدها جون مارلو أن هنالك وسيلة واحدة للخروج من هذا المأزق الذي وجدت نفسها فيه. فنهضت عن الفراش وذهبت اليه، حيث كان واقفاً وقالت:

- انا اسفة يا كال. كان هذا النهار متعباً لي ومرهقاً جداً. وأما الآن فتحسنت حالتي، فأرجوك أن تسامحني.

ووضعت يدها على صدره ووقفت على اصابع قدميها وعانقته، فأخرج كال يديه من جيوبه، ولكن ليس لاحتضانها بذراعيه بل لابعادها عنه بشيء من القساوة، وقال لها:

- هذا لا يجدي نفعاً يا انطونيا. أنا أريد زوجة تكون لي من كل قلبها، لا زوجة تقوم فقط بواجبها نحوي...

- ولكنني سأكون زوجتك بكل قلبي.

فرفع كال حاجباً وقال لها:

- بكل قلبك؟ لا اظن أن بوسعك أن تدّعي ذلك!

- عليك أن تساعدني. فكيف لي أن أتحمس لشيء لا أعرفه بعد. أما قلت لي قبلاً أن علي تعلم الحب من زوجي؟

وتأمل وجهها قليلاً قبل أن يجيبها بقوله:

- نعم، وكنت مستعداً تحت ظروف غير هذه الظروف أن أعلمك، أما الآن فكيف لي ذلك وأنت مغرمة بشخص آخر؟ وكيف لا اشك وأنا أبادلك الحب بأنك تفكرين بذلك الشخص وتتخيلين انه هو يعانقك لا أنا...

وقبل أن تجيب تابع كلامه قائلاً:

- هذه الليلة سأنام على أحد المقاعد في غرفة الجلوس. فاذهبي انت الى الفراش ونامي هناك... لربما أصبح صافي الذهن غداً صباحاً.. فهذا النهار، كما قلت كان مرهقاً.

ومرّ من امامها الى السرير وأخذ واحدة من المخدتين ثم ودّعها وخرج من الغرفة وأغلق بابها وراءه.

واستيقظت في صباح اليوم التالي وهو يهزّ كتفيها برفق ويقول:

- طلبت لك طعام الفطور، وسيحضر خلال ربع ساعة

ولم يكن يلبس ثوب الحمام، بل بيجاما من الكتان بدون قميص وفيما هو يسير متجهاً الى الحمام، رأت انطونيا لأول مرة ظهره العاري

…كرت في الحال ظهر حصان أصيل، وتعجبت كيف يكون له مثل … العضلات وهو ينفق معظم وقته في الطائرات ووراء طاولات الاجتماعات.

…نهضت من الفراش وسارت الى خزانة الثياب وأخذت منها رداء الحرير الملوّن بلون الزهر. وفي غرفة الحمام الخاصة بالسيدات …استحمت تاركة عملية التجميل والتزين الاعتيادية الى ما بعد طعام الفطور. ثم عادت الى غرفة النوم لتسريح شعرها فسمعت صوت … الخادم وهو يجر عربة الطعام.

وكان كال طلب الطعام لهما معاً، فأكلا بصمت. وحرصت …طونيا على تركيز نظراتها على صحن الطعام أمامها. ولكنها كانت، … الحين والآخر، تلاحظ أن كال يراقب حركاتها. فتساءلت اذا … انتبه الى أن جفونها لا تزال متورمة من كثرة البكاء في الليلة …

…في تلك الليلة لم تنم الا في ساعات الصباح الأولى وفيما كانت …مستيقظة شعرت بالندم لعجزها عن السيطرة على نفسها وهي بين …ذراعي كال. فهي لو فعلت لتجنبت المأزق الذي سبب تلفظها باسم …، ولكانت الآن تتناول الطعام مع عريسها باطمئنان وانشراح.

…قرأ كال أفكارها، فقال لها فجأة:

- …ليتك تخبريني المزيد عن هذا الشاب الذي يدعى باكو. قلت انه …

- … فكيف كان ذلك؟

- قتل في حادث سيارة.

- كم طالت معرفتك به؟

- مدة قصيرة... لا تزيد على ستة اشهر.

جواباً على اسئلته سردت انطونيا عليه قصتها مع باكو من بدايتها …نهايتها. ومما قالته أنها كانت في السيارة مع باكو، وهما في طريقهما

الى الفرار من وجه والديها، اذ اعتقدت أن ذلك ربما حملها على القـ
بزواجها ممن تحب. وكان باكو فتى نشيطاً وذكياً، فلم يكن
الصعب على خالها أن يجد له عملاً أفضل بكثير من العمل الذي
به. فقال لها كال:

- لا أريد أن أقلل من شأن عاطفتك الجامحة نحو الشاب، فالـ
الأول يكون دائماً مصحوباً بمثل هذه العاطفة خصوصاً اذا لا
مقاومة من الأهل. ولو كنت مكان أمك وخالتك لتركتك وشأنك
وبذلك تنطفىء شعلة ذلك الحب شيئاً فشيئاً...

ووضع كال سكينه وشوكته على الصحن أمامه وأسند ظهره
الكرسي وتابع قائلاً:

- وهذا ما سيحدث مع الأيام. قد تطول وقد تقصر. وسـ
كيف ستنسين الماضي كلما توثقت علاقة واحدنا بالآخر. و
أعدك بأني ... الا اذا انت رغبت في ذلك ... وسنعيش معاً
لو كنا بعد خطيبين.

وفجأة لمحت في عينيه الدفء والدعابة اللذين عهدتهما فيهما
قبل، فشعرت بالراحة والاطمئنان. ثم صرفا بقية النهار في التسـ
والتنزه، ولما رجعا الى الفندق كانت انطونيا شاهدت القصر الملكـ
وأماكن سياحية أخرى تثير الدهشة لفخامتها وروعتها وقيمـ
التاريخية الجليلة.

وفي المساء اصطحبها كال الى المسرح الوطني، ثم الى احد المطاعـ
المحببة اليه. ولدى عودتهما الى الفندق قالت له انطونيا وهما في المصـ
الى غرفتهما:

- أرجوك يا كال أن تدعني أنام على المقعد لأنني أقصر منك قامة
وتنام انت في السرير. فليس من العدل أن تتحمل انت وحدك كـ
هذا العناء.

- المقعد لا يزعجني ابداً.
- وإن يكن، ليتك تجيبني الى طلبي فأشعر بمزيد من الراحة.
- هل انت متضايقة؟
- نعم. فلولاي لما كنا في الحالة الشاذة التي نحن فيها...
- اللوم لا يقع عليك وحدك، بل علي ايضاً، لأنه فاتني ان ادرك
الطريق الى قلبك لم يكن سهلاً ممهداً كما ظننت.
- وكيف ذلك؟
- تذكرين أنني أخبرتك، عندما تلاقينا لأول مرة، كيف وصفك
صديق لي. ثم قلت لك بعدئذ انني تعجبت لماذا لم تسأليني من هو
الذي وصفك لي. وكان علي أن افهم أن المرأة لا تكون غير مبالية
... الا اذا كان قلبها مليء بحب رجل واحد.

وتوقف المصعد، فخرجا الى الممر وسارا الى باب غرفتهما. وفيما
... المفتاح في القفل، قالت له انطونيا:
- والآن قل لي من هو الذي وصفني لك؟

وقف كال مفسحاً لها مجال الدخول. وكانت غرفة الجلوس مضاءة
... خافت، والستائر التي اسدلت في غيابهما أشاعت الدفء في
الغرفة، مما جعل انطونيا تسرع الى خلع معطفها. وفيما هي تفعل
... شعرت بكال يمد لها يد المساعدة. قال لها:
- هو رجل فرنسي، الذي وصفك لي، ويدعى روجيه. التقاك
... ووالدك في أحد المؤتمرات التي عقدت في فالنسيا السنة الماضية.
- مع الأسف لا أتذكره.

وتكئ كال المعطف على أحد الكراسي ووضع يديه على كتفيها
...

- كان على حق في وصف عينيك، فالحدقتان كالعسل الغامق
الصافي. ولكنه نسي أن يصف فمك، واذنيك وعنقك الرائع.

وكنت أتأمل في هذا كله عندما كنا في المسرح.

وكان ظهره الى القنديل، فلم تستطع انطونيا أن تتبينّ ملا
وجهه في العتمة. غير أن نبرة صوته أثارت شعوراً غريبا
احشائها... فقالت له:

- قلت لي انك اعجبت بالمسرحية.

- نعم. ولكنني كنت أجد النظر اليك من حين الى آخر، أجمل
متابعتها.

ورفع يديه عن كتفيها، من دون أن يتراجع الى الوراء و
قائلاً:

- وعدتك ألاّ أغازلك، ولكني لم أعدك بالا اتغزل بك. واني أ
ان افعل ذلك ما استطعت، على أمل أن يأتي يوم لا يعود فيه الك
كافياً لك. وحين يأتي ذلك اليوم، فسأحلق ذقني واستحم في الل
أما الآن فسأستحم على عادتي، فافعل ذلك في الصباح... اع
عشر دقائق لأبدل ثيابي واستعد للنوم، قبل أن أضع الغرفة كله
تصرفك.

وكانت لا تزال في الحمام، حين ناداها قائلاً:

- تصبحين على خير يا انطونيا.

ولم تستسلم انطونيا الى النوم بسهولة، وعندما أفاقت في الص
شعرت بالراحة والانشراح. فنهضت من فراشها وفتحت ال
بهدوء.

كان كال لا يزال نائماً. وكان منبطحاً على بطنه ويده مطوية تح
صدره. فرأت انطونيا وجهه. ولما أخذت تتأمل ملامحه وجدت
وهو نائم اكثر دعة منه وهو في حال اليقظة. وكانت الساعة بل
الثامنة، وهو الوقت الذي يستفيق فيه عادة، فانحنت عليه
بصوت خافت:

- كال... حان وقت نهوضك... كال... كال.

فتحرك كال على ندائها وأخرج من فمه صوتاً يدل على تضايقه،
فقالت له:

- الساعة الثامنة يا كال!

فأخذ كال يتقلب في فراشه دون أن يفتح عينيه وقال:

- عودي الى فراشك واهدأي يا امرأة!

ومد ذراعاً نحوها، ولو لم تكن قد انتصبت واقفة لطوق خصرها.
ولكن ذراعه الآن لم تستطع الوصول الا الى ركبتيها، فشدها اليه حتى
وقعت فوقه. فمد ذراعه الأخرى واحتضنها فصاحت به:

- كال... انا انطونيا...

ففتح كال عينيه، ولما رآها أرخى ذراعه وتركها تقف على قدميها
وتسرع راجعة الى غرفة النوم. وفيما هي تستحم وتتجمل وتتزين،
كان كال لبس ثيابه وتهيأ لتناول طعام الفطور. وحين خرجت من
غرفة النوم الى غرفة الجلوس، استقبلها كال بترحاب واجلسها الى
المائدة وهو يحييها تحية الصباح.

وكان كال طلب نسخة من جريدة الصباح، فأعطاها القسم الذي
يهتم بقراءته النساء، واحتفظ بالقسم الآخر. ولكن انطونيا لم تكن
قادرة في ذلك الصباح على حصر افكارها، وتساءلت اذا كان كال
يستمتع بالقراءة كما يتظاهر. ونظر اليها كال من فوق صفحات الجريدة
وسألها اذا كانت تتلذذ بطعامها، فأجابته بالايجاب. ولما عاد الى
متابعة القراءة وجدت نفسها تسأله فجأة:

- من ظننت أنها توقظك هذا الصباح؟

فنظر اليها متأملاً قبل أن يجيبها قائلاً:

- لا يمكنك اذا تظني أن رجلاً في مثل سني لم تكن

- كلا. اعرف ذلك، ولكن بدا لي انك تحب تلك التي حسبتي انها هي.

فأجابها ببطء:

- لا. لا احبها. سعدنا بمعاشرة واحدنا للآخر وقتاً من الزمن ولكن لا مبرر لشعورك بالغيرة منها. فيجب ان تتأكدي انني لم أعشق امرأة واحدة في حياتي، مثلما أعشقك يا حبيبتي.

وبعد تناول طعام الفطور أخبرها أن عليه القيام بعدة مخابرات تلفونية، واقترح عليها أن تذهب الى السوق وحدها. وكان كال اعطاها بعض المال وأخبرها انه بعد وقت قليل سيفتح لها حساباً خاصاً في المحلات التجارية الكبرى. ولكنها، في الواقع، لم تشترِ سوى أشياء بسيطة. ففكرة انفاق اموال كال، حين لم تكن امرأته بالفعل، جعلتها تشعر بالضيق والكآبة.

ولذلك، فعندما رجعت الى الفندق قال لها كال:

- حسبت انك سترجعين بأكوام من العلب. فماذا جرى؟

- لم اجد أنني بحاجة الى شيء الآن.

ثم قال لها عندما كانا يتغديان في المطعم:

- آسف أنني اهملك بعض الشيء. ولكن هل تعتقدين أن بامكانك تسلية نفسك اليوم بعد الظهر؟ فلدي مشكلة مستعجلة فوجئت بها، ومن الضرورة أن اهتم بها بنفسي.

- كيف لا؟ فبامكاني التجول في المدينة وقتاً من الزمن، ثم أعود الى الفندق.

وركبا في التاكسي معاً الى سوق المدينة، حيث افترقا على أن يلتقيا في أحد الفنادق القريبة من شارع بوندستريت وقال لها كال:

- قد تعاني من الصعوبة بالحصول على تاكسي في ذلك الوقت من النهار.

فأجابت:

- الا يمكنني أن استقل قطار تحت الأرض؟

- أفضل الّا تفعلي ذلك. فهو غير نظيف ومزدحم بالركاب وفيه بعض الأحيان اناس غير مرغوب فيهم.

- انا لست طفلة يا كال. ثم انني أتكلم الانكليزية.

- وإن يكن، من الأفضل أن تبقي فوق الأرض!

ثم ودعها منصرفاً، بعد ان قبّل يدها. وسارت انطونيا الى محلات مارك اند سبنسر الشهيرة، فدخلتها وسط جمهور الزبائن وأخذت تتفرج على البضائع. غير أن أفكارها كانت مع كال وهو في طريقه الى المدينة.

وفجأة سمعت وسط وابل من اللغات حديثاً باللغة الاسبانية، فعاودها الحنين الى مسقط رأسها، ولكن لا الى المكان الذي تعيش في حالتها، بل الى اماكن اخرى في فالنسيا، حيث كانت تلتقي باكو وتنعم برفقته. فهل يتلاشى حبها له مع الأيام، كما تنبأ كال، فلا يعود ذكره يثير فيها الألم؟

وخرجت من محلات مارك اند سبنسر وأخذت تتجول في الشارع الى أن احست بالتعب، فجلست في مقهى على الرصيف نحو نصف ساعة، تناولت خلالها فنجاناً من القهوة وفكرت ملياً بزواجها والنساء اللواتي مررن في حياة زوجها. وسألت نفسها من يا ترى تكون تلك المرأة التي أمرها كال، وهو نصف نائم، بأن تعود الى الشر وتلزم الهدوء؟

وفجأة سمعت صوت امرأة تقول لها:

- لا تقلقي يا عزيزتي، فكل شيء يزول بالغسيل!

ولما استعادت كامل وعيها أدركت ان تلك المرأة كانت تقاسمها الطاولة، وهي امرأة بدينة كانت تتسوق، كما [illegible] جلياً من العلب

الكثيرة المكوّمة على الكرسي قربها. وكانت المرأة تهوى الثرثرة، فلم ينقض وقت طويل حتى سردت لانطونيا نصف سيرة حياتها. وحين التقى كال وانطونيا في الموعد المحدد، أخبرته بحادث المرأة فقال لها:

- وجهك عليه ملامح الرقة والعطف، والاّ لما تحدثت اليك تلك المرأة بشؤونها الخاصة.

وأدركت انطونيا أنه كان عليها أن تبدأ بسؤاله عن المشكلة التي ذهب لمعالجتها، فاستدركت وقالت:

- هل انهيت معالجة المشكلة ؟

- المشكلة؟ اوه، نعم، نعم. كل شيء صار على ما يرام... هل ترغبين في مزيد من الطعام؟

- كلا، شكراً.

ومرّ ببالها ألاّ يكون هنالك مشكلة على الاطلاق، ولكنه اختلقها ليخلو الى نفسه بعض الوقت، أو ليجتمع بامرأة اخرى من يدري؟

وكان هذا الخاطر غير اعتيادي لفتاة في اليوم الثالث من زواجها، ولكن زواجها لم يكن اعتيادياً. اضف الى ذلك انها ترعرعت في مجتمع لا تزال العذرية فيه ذات شأن، وهو أمر يسري على الاناث دون الذكور. وقال لها كال:

- ما بال سحنتك تغيرت هكذا؟

فأجابت بدهشة:

- تغيّرت؟

- نعم، تغيّرت كمن يشم رائحة كريهة!

- يا للغرابة! كنت أفكر في ثوب رأيته في أحد الحوانيت.

- اذا كان اعجبك، فلماذا لم تشتريه؟

- لم يكن يلائمني.

وفي ذلك المساء ذهبا الى حضور مسرحية اخرى وكانت انطونيا هي التي أخذت هذه المرة، ترمق بنظراتها جانب وجه كال الذي كان جالساً الى جانبها.

ولاحظ كال ذلك فابتسم ومدّ يده الى يدها، فامسكها واحتفظ بها في يده. وبعد حين أخذ يداعب أناملها وهو منصرف الى مشاهدة المسرحية، حتى خيل الى انطونيا أنه يداعبها من دون أن يعي ذلك. وأدركت انه من السخف أن تنصرف عن مشاهدة المسرحية الى مثل هذه المداعبة التافهة من زوجها.

واستمر كال في تحريك اصابعه في كف يدها، وكم كانت دهشتها شديدة حين شعرت في احشائها بالرجفة ذاتها التي شعرت بها في الليلة الفائتة. كان كال في اعتقادها يعي تماماً ما يفعل، ويعرف ما كان يثيره ذلك في احشائها.

وهمت انطونيا بانتزاع يدها من يده، ولكن الستارة اسدلت على الفصل الثاني من المسرحية، فكان على كال أن يفلت يدها ليشارك المشاهدين في التصفيق.

واقترح كال أن يخرجا الى مقهى المسرح لتناول كوب من الشراب، وسمحت له بأن يذهب وحده اذا شاء، فقال لها:

- لا رغبة لي أنا أيضاً في شيء... هل تروق لك المسرحية؟

عرفت انطونيا ماذا يعني. فهو لا يعني المسرحية وانما مداعبته لها. تتجاهلت الأمر وأجابت:

- نعم، انها مسلية وممتعة. الا ترى ذلك؟

وفيما بعد لم تتذكر تماماً ماذا جرى خلال عرض الفصل الثالث من المسرحية، لأنها كانت خائفة من انه سيعود الى مداعبتها كما فعل من قبل. فهي لم تكن تألف هذا النوع من المداعبة بالأصابع، واعتبرته مزعجاً ثم انها لم تنظر بعين الرضى الى رجل يعلم أنها لا تحبه، ومع ذلك يحاول أن يثير فيها شعوراً تخجل به لأنه لم يكن جزءاً من شعورها

العاشق بالحب. وتذكرت كيف انه ساعها عندما ينتظران قدوم والده وشقيقته في مطار فالنسيا، اذا كان هنالك نار تحت الثلج، وكيف انها في ذلك الوقت فكرت بأنه من يستطيع اطفاء اللهيب الذي اشعله باكو في قلبها. وبعد ان تناولا طعام العشاء توقف التاكسي بهما خارج الفندق، حيث كان هناك رجل في منتصف العمر مع رفيقته الحسناء. وعندما نزل كال من التاكسي عرفه الرجل وصاح به:

- كال برنارد، كيف حالك؟ وصلت اليوم بالطائرة، وكنت سأتصل بك غداً.

فصافحه كال قائلاً:

- اهلاً بك يا ايرفنغ. هذه مفاجأة سارة. لم اكن على علم بأنك ستحضر الى هنا

- جئت على غير موعد. اسمح لي أن أقدم لك ليزا.

فصافحته ليزا بصوت عال ومدت اليه يداً تغص بالخواتم والأساور. والتفت كال الى انطونيا وقال لها:

- هذا ايرفنغ هارلو يا حبيبتي، وهو صديق قديم من اميركا.

ثم قال لايرفنغ:

- اقدم لك انطونيا. تزوجنا البارحة.

فصاح ايرفنغ بلهجة اميركية:

- تزوجتما؟ لم اكن أتوقع منك أن تتنازل عن حريتك يا كال، ولكن حين انظر الى السيدة برنارد أدرك لماذا فعلت ذلك.

ومد يديه الاثنتين لمصافحتها مهنئاً وقال:

- كنت سأدعوكما الى قضاء بقية السهرة معنا، ولكن اذا كنتما تزوجتما البارحة فلن يرحب كال بدعوتي هذه.

قال ذلك وضحك ضحكة عالية، وكذلك رفيقته الحسناء، ثم قال:

ومع ذلك دعنا نجلس هنيهة ونضرب موعداً للقائنا، بعد عودتي من باريس وميلانو!

وافق كال على هذه الفكرة، فدخلوا جميعاً الى مقهى الفندق ونزعت ليزا عنها معطفها، فظهر كتفاها العاريتان. وكانت ساقاها محشورتين في جزمة جلدية ذات كعب عال، وحقيبة يدها مطعمة بالفضة، قامتها مكتنزة، حتى أن ثوبها كاد ينفجر!

وقالت لانطونيا، فيما الرجلان يتحدثان عن مسائلهما المالية:

- من أي جزء من اسبانيا أنت يا انطونيا؟

- من فالنسيا. هل تعرفين اسبانيا؟

- لم ازر فالنسيا. زرت ماربيلا وتوريمولينوس، فسحرني جمالها. احببت الحياة هناك، فبالامكان قضاء النهار كله تحت تلك الشمس الرائعة ثم التأخر في تناول طعام العشاء وقضاء السهرة في ...

واخرج ايرفنغ علبة السكاير من جيبه، وتذكر السيدتين فقدم لانطونيا سيكارة فقالت:

- شكراً، انا لا ادخن.

اما ليزا فتناولت سيكارة بأناملها ذات الأظافر الطويلة المصبوغة باللون الزهري، فأسرع كال وأشعلها لها. وتطلعت ليزا اليه شاكرة، وجعلت تحمل فيه نظراتها كأنما اعجبها. فعجبت انطونيا كيف أن تنظر الى رجل مثل هذه النظرات بحضرة امرأته... ولاحظ كال نظرات ليزا فقابلها بعدم اكتراث. ثم نظر الى انطونيا وابتسم فحسبت لوهلة أن في عينيه ما يريد أن يوصله اليها، وهو أنه يجدها أجمل بكثير من تلك المرأة الشقراء المدعية التي كانت ترحب بمعرفتها لو أنها التقته قبل أن تلتقي ايرفنغ او أي رجل آخر.

وحين التفت اليه ايرفنغ وقال:

- والآن علينا أن نتابع طريقنا . . . معذرة على ازعاجكما في
العمل.

فابتسمت انطونيا وقالت له:

- انا غريبة في لندن، وابنتك أخبرتني أين يحسن بي أن أت
حاجياتي، فوفرت عليّ كثيراً من الوقت والجهد.

فارتبك ايرفنغ لكلامها وقال:

- يسرني ان اسمع ذلك. آمل أن نلتقي قريباً فأتعرف عل
أكثر. ربما الشهر المقبل اكرر تهاني بزواجكما يا كال. انت ر
محظوظ . . . محظوظ جداً.

وفي المصعد، وكال وانطونيا في طريقهما الى الغرفة، س
انطونيا:

- لماذا تبتسم؟

- تذكرت الملامح التي برزت على وجه ايرفنغ عندما اشرت
المرأة التي يصطحبها على انها ابنته!

- من هي اذن؟ زوجته؟ أعذرني يا كال على هذا الخطأ ال
ارتكبته.

- ولا هي زوجته، وأشك انه عرفها قبل هذه الليلة. ثم أن لهـ
ليست لهجة اميركية اصيلة. وأغلب الظن انها من سكان لند

- هل تقصد أنها ساقطة؟

- إن لم تكن كذلك فهي ترتدي ملابسها كالساقطات.

- هل ايرفنغ هاربر متزوج؟

- تزوج مرتين وطلق.

- ولكنه قال انه وصل الى لندن البارحة، فأين يستطيع أن يجد
كهذه بمثل هذه السرعة؟ هل في الفندق مقهى تؤمه النساء الل
على شاكلتها؟

- كلا. هذا النوع من النساء لا يترددن على الفنادق وحدهن. غير
ئيس الخدم في كل فندق كبير، غالباً ما يتولى تزويد أي نزيل عند
ب بامرأة ترافقه. أعرف هذا بالسمع لا بالخبرة!

قال كال هذه العبارة الأخيرة بلهجة ساخرة. وقالت انطونيا تعليقاً
عليها:

- لم يخطر ببالي انك تفعل ذلك!

- لماذا لا؟

- لأن صديقك هذا ليس رجلاً وسيماً، بينما أنت رجل وسيم جداً،
ولا حاجة لك الى استئجار امرأة. والبرهان على ذلك نظرات ليزا
لك. فهي كانت على استعداد لمعاشرتك مجاناً!

- اشك في صحة كلامك. فأنا لم اعرف امرأة أكثر منها جشعاً في
الحصول على المال. ولكني اشكرك على مديحك لي. فمنذ نحو يومين
حسب انك تعتبريني قبيحاً. ويبدو لي الآن أن أمورنا تتحسن!

وهنا وصلا الى شقتهما. وهمّت انطونيا باجتياز غرفة الجلوس الى
غرفة النوم فاستوقفها كال ونزع عنها معطفها ورمى به جانباً وقال:

- جرت العادة أن يودع الرجل خطيبته بعناق.

وأمسكها بيد واحدة وسار بها الى المقعد، ثم جلس الى جانبها
وطوقها بذراعيه. كان عناقه رقيقاً هادئاً كالعادة، وخشيت انطونيا أن
يثور إن هي أبدت أي ممانعة، فاستسلمت اليه من دون أية عاطفة.

وفي تلك الليلة، وهي آخر ليلة لهما في الفندق، سألها كال قائلاً:

- نريد خدماً للبيت. فهل يمكن أن نجد رجلاً اسبانيا وزوجته؟
تكون اكثر راحة في الوقت الحاضر مع امرأة اسبانية في المطبخ.

فأجابت انطونيا:

- بكل تأكيد. ولكن هذا يعني أننا سنأكل طعاماً اسبانياً. ألا
تفضل الطعام الانكليزي؟

- لا يهمني نوع الطعام اذا كان شهياً.

وفيما هو يتكلم تناول سماعة الهاتف وادار رقماً. ودهشت حين ناولها السماعة.

فأخذتها من يده وقالت متسائلة:

- مع من تريدني أن اتكلم؟

- مع والدتك، اذا وجدتها في البيت.

وكانت انطونيا في أيام والدها تحضر احياناً حين كان يتحدث على الهاتف مع احدهم في بلاد اخرى، ولكنها لم تتحدث بنفسها مرة واحدة. وكم كانت دهشتها شديدة عندما وجدت أن صوت والدتها واضح كل الوضوح. وقبل أن تنتهي المخابرة أشار اليها كال بأنه يريد أن يتحدث الى حماته. وبعد أن تحدث وأغلق الخط، قالت له انطونيا:

- اشكرك على هذه الفكرة يا كال!

- كان يجب أن نتصل في الليلة الأولى من زواجنا. لا شك في أن والدتك كانت تسرّ اذا علمت في ذلك الوقت أننا وصلنا الى هنا بالسلامة. ولكني أظن انها سامحت وغفرت لنا تقصيرنا لأن العروسين عادة يكونان منشغلين عن الآخرين في الأيام الأولى من زواجهما.

- نعم أوافقك على ذلك.

وفي غضون الاسبوع الثاني من شهر العسل، كان الطقس رائعاً، فقاما في عدة رحلات سياحية الى الأماكن الأثرية في انحاء البلاد. فقال لها:

- الا يمكنني أن أجعل قلبك يزداد خفوقاً ولو قليلاً؟

قال ذلك وفمه قرب اذنها، ويده تمتد الى موضع القلب. وكان امتنع من قبل ان يلمسها في مكان حميم، فلماذا فعل ذلك الآن؟

حست بأن قلبها أخذ يترنح في صدرها. واذ انشغلت بمشاعرها ذاتها تشعر بأصابعه تحاول فك ثوبها. وراح يداعبها ويضمها اليه بحماسة شديدة. فما كان من انطونيا الا أن حاولت التملص منه وهي تصيح:

- ارجوك، يا كال!

فأفلتها كال في الحال وقال لها:

- نعم ذهبت الى أبعد مما وعدتك.

ولمحت انطونيا في ابتسامته ايماناً اكيداً بأنه سيتغلّب على ممانعتها في يوم قريب. وقال لها:

- والآن اذهبي الى فراشك يا حبيبتي.

ونهض واقفاً على قدميه وهي تنسحب بهدوء الى غرفة النوم. وبعد هذه الحادثة، مالت انطونيا الى الاعتقاد بأنها ستتغلب على حبها لبكي اذا طالت خطبتها لكال، او اذا فكر كال أن يضبط نفسه جيداً. اما الآن فهي بين نارين: نار الحكمة التي تقضي بقبول واقع زواجها، ونار رفض الاستسلام الى رجل لا تحبه ولو كان زوجها. وفي الصباح، وهما يتناولان طعام الفطور، قال لها كال:

- اظن أن علينا اليوم أن نبحث عن شقة مفروشة لنقيم فيها بضعة أشهر ريثما ننتهي من تجهيز مسكننا الدائم.

ولم يأتِ وقت الظهر حتى كانا شاهدا ثلاث شقق، لم تعجبها أية واحدة منها. وبعد الغداء، أخذهما السمسار الى رؤية مسكنين. فكانت النتيجة ان كال اعجب بواحد منهما، فقررا استئجاره وسأل السمسار اذا كان بامكانه أن ينتقل اليه غداً، فأجابه بالايجاب.

شهر ايار (مايو) شهر جميل في انكلترا. فالأشجار مبرعمة مورقة، وزهور الليلك تملأ السفوح والأودية. وقد سرّت انطونيا كثيراً بربيع تلك البلاد، كما سرت بمعالمها الأثرية العديدة، وبسور

تبلاتها الفخمة، وجنائنها الغناء المترامية الأطراف. وتمتعت انطونيا بحضور الأوبرا، وسحرها ما يحيط بدار الأوبرا في العاصمة البريطانية من جنائن تفوق الوصف. وفي احدى المرات، بعدما حضرت هي وكال الأوبرا الشهيرة زواج الفيغارو ذهبا الى المطعم لتناول العشاء. وفيما هما جالسان الى المائدة، لاحظت انطونيا أن امرأة جالسة الى مائدة مجاورة ترمقها باهتمام بالغ. وحسبت انطونيا أن شيئاً ما فيها جذب اليه تلك المرأة، أو لعلها التقتها في مكان ما. وكانت المرأة ترتدي السواد وتجلس مع خمسة آخرين. وفجأة اقبلت المرأة نحوهما وقالت:

- مساء الخير يا كال.

وكان صوتها خشناً لكثرة التدخين. ونهض كال يرد لها التحية قائلاً:

- اهلاً بك يا ديانا. كيف حالك؟
- انا بخير، وأنت؟
- وأنا كذلك، شكراً.

والتفت الى انطونيا قائلاً لها:

- اقدم اليك ديانا وبستر. فلو كنت اقمت هنا مدة أطول لعرفت انها وراء عدد كبير من الفائزين بجوائز في برامج التلفزيون.

فقاطعته ديانا بقولها لانطونيا:

- كيف حالك؟ يبدو لي انك قادمة من خارج انكلترا.
- نعم، من اسبانيا.
- ماذا جاء بك الى انكلترا؟

سرع [illegible] الى الجواب عنها فقال:

- [illegible] ها الى هنا. وهي ليست مثلك ذات مهنة ما، فهي زوجتي.

فحملقت ديانا بعينيها الرماديتين وقالت:

- صحيح؟ متى حدث ذلك؟ لم اقرأ الخبر في الصحف.
- تزوجنا في اسبانيا، ولم نجد من الضرورة اذاعة الخبر في الصحف هنا.
- ولكن يسرّ اصحابك ومعارفك أن ياخذوا علماً بهذا الحدث المدهش.

والتفتت الى انطونيا وقالت لها:

- الحدث الآخر الوحيد الذي يعتبره الأصحاب والمعارف مدهشاً هو أن يسمعوا بخبر زواجي أنا... والآن عليّ أن أعود الى رفاقي، ولكن آمل أن نلتقي قريباً. اكرر تهاني لكما وتمنياتي بزواج سعيد.

وفيما هي تهم بالعودة، عاد كال الى الجلوس في مكانه. وتوقعت انطونيا منه أن يحدثها عن تلك المرأة: متى عرفها، وأين التقيا، وما الى ذلك... كما يفعل معظم الناس عادة في مثل هذه الحال. غير أن كال لم يقل شيئاً الى أن سألته قائلة:

- لماذا يندهش الناس اذا سمعوا أن الآنسة وبستر تزوجت؟ انا اندهشت حين عرفت أنها عزباء... هل هي مطلقة؟
- لا. ديانا ليست آنسة ولا سيدة. فهي لا تحب هذين اللقبين لأنها من دعاة المساواة بالرجل، وتقول لماذا يلقب الرجل بالسيد، سواء كان أعزب أو متزوجاً، وأما المرأة فاذا كانت عزباء فتلقب بالآنسة واذا كانت متزوجة فتلقب بالسيدة؟ ديانا صديقة حميمة لأختي ولشدة ايمانها بالمساواة بالرجل لم تنجح في زواجها.

وبعد ذلك في طريق عودتهما الى لندن، سألته انطونيا:

- ولماذا طلقت اختك لورا زوجها؟
- كانت لورا تشغل وظيفة ليلية في التلفزيون، مما أزعج زوجها كثيراً جداً. وفي احدى الليالي عادت لورا من عملها لتجده في البيت

مع امرأة فرنسية شقراء، فجن جنونها. ولكنه ادعى أن علاقته بالمرأة لا تتعدى المودة المتبادلة. ولم تستطع لورا حتى الآن أن تقتنع بان اللوم يقع عليها في ما فعله زوجها. فاذا كان وقت عمل المرأة يتناقض مع وقت عمل الرجل، فيجب على احدهما أن يتكيّف مع الآخر. وليس من الضرورة أن تتكيف المرأة دائماً. ولكن في ما يتعلق بهذه القضية فقد كان على لورا أن تفعل ذلك.

فقالت انطونيا:

- من الصعب على المرأة أن تتخلى عن وظيفة تحبها لمجرد كونها متزوجة!

- نعم ولكن الحياة تفرض الأولويات. وكان على لورا أن تجابه المشكلة مسبقاً. بأن لا تتزوج الا رجلاً لا يتعارض عمله مع تلك الوظيفة.

ومضى الآن على زواج كال اسبوعان، فقال لها كال:

- اظن ان الوقت حان للخروج من عزلتنا. سأتصل ببعض الاصحاب واعطيهم رقم تلفوننا. وبعد أن ينتهوا من دعواتهم لنا الى العشاء، يمكنك بعدئذ أن تلعبي دور المضيفة.

وكان يمكن لانطونيا أن تتهيّب هذا الدور الجديد لو لم يكن في خدمتها طاهية اسبانية تدعى روشيو وزوجها ماركوس بالاضافة الى خادمة تأتي كل صباح، والى بستاني يتولى العناية بالحديقة مرتين في الاسبوع. وهؤلاء جميعاً دبرتهم وكالة للمستخدمين.

واستغربت انطونيا أن تجد نفسها سيدة بيتها الخاص، ولها كل الحرية أن تروح وتجيء كما تشاء، من دون أن يسألها احد اين كانت وبرفقة من؟

واحتلت انطونيا غرفة النوم الكبرى، بينما اكتفى كال بغرفة النوم الـ[illegible] في الطبقة نفسها. أما كيف فسرّت روشيو وزوجها

هذا الترتيب الشاذ، فأمر لم تستطع انطونيا ان تتخيله. ولم تعد انطونيا وكال يتناولان طعام الفطور معاً. اذ كانت عادة كال في مجرى حياته العادية أن ينهض من فراشه في الخامسة فجراً، فيهيىء طعام فطوره بنفسه، ثم يغادر البيت الى مكتبه في الثامنة. قبل أن يحضر احد من مستخدميه.

وكان يقول لانطونيا:

- لم اكن في حياتي بحاجة الى نوم طويل. ست ساعات، بل أربع، اعتبرها كافية.

أما انطونيا فكان يومها، وهي في اسبانيا، ينتهي في منتصف الليل أو بعد ذلك، ويبدأ في العاشرة صباحاً حين يؤتى اليها بطعام الفطور. وبعدما انتقلت الى السكن في لندن، رأت أن تتناول طعام فطورها في الثامنة صباحاً، وأن تستحم في الثامنة والنصف.

وكل خبرتها في اعداد الطعام انها كانت تساعد والدتها في شوي شرائح اللحم، ولكنها الآن وجدت أن من الضرورة أن تتعلم طهي بعض الوان الطعام لكي يمكنها أن تحل محل روشيو في يوم عطلتها.

وفي أحد الأيام، بينما انطونيا جالسة في الحديقة بعد الظهر، تكتب رسالة طويلة الى والدتها، اذا بلورا مقبلة اليها. وفيما هي ترى لورا [illegible]ليت، ذكرت لها أنها وكال التقيا في أحد المطاعم صديقتها ديانا.

فقالت لها لورا:

- ألم تستولِ عليه الدهشة حين عرفت من أنت؟

- ولماذا تستولي عليها الدهشة؟

- لأنها، رغم رفضها الزواج بكال، لا بد لها من الشعور بشيء من الغصة لفقدانها ميزة كونها المرأة الوحيدة التي أراد كال الزواج بها.

٣- نسيم الحب

وكانت انطونيا ولورا صاعدتين الى غرف النوم، فقالت لها لورا:

- لا بد أن يكون كال أخبرك عن علاقته الماضية مع ديانا . . .

- كلا.

- اذن، كان عليَّ أن لا آتي على ذكرها!

فالتفتت اليها انطونيا ورمقتها بنظرة لامبالية وقالت مبتسمة:

- ولماذا لا؟ أظن أن كال يخبرني كل شيء عن ماضيه اذا سألته، ولكني لا أفعل. فالماضي أقل شأناً من الحاضر والمستقبل.

وفي غرفة النوم الكبرى جالت لورا بنظرها وقالت:

- بما انك لا تشغلين أية وظيفة، فلن يطول الوقت حتى تبدأي بانشاء عائلة . . . هل تريدين كثيراً من الأولاد؟

- أربعة أولاد يكفي. ابنان وابنتان.

فحدقت اليها لورا باستغراب وقالت:

- هل هذا حقاً، كل ما تطلبينه من الحياة؟ زوج وأولاد؟

- نعم هدفي الرئيسي، لا كل هدفي. حين أخذني كال الى حضور الأوبرا ادركت كم معرفتي بالموسيقى ضئيلة. وأنا أريد ان أتقن الطهي جيداً، وان أتكلم الفرنسية بطلاقة . . . فهل هذا يبدو لك أليفاً ومضجراً؟

ففكرت لورا قليلا قبل أن تجيب ثم قالت:

- كلا، لا يبدو لي ذلك أليفاً ومضجراً على الاطلاق!

ثم تابعت كلامها فقالت:

- ولكن النساء هذه الأيام يردن أن يشغلن وظيفة ما الى جانب كونهن زوجات!

- لو كنت مؤهلة لأن أكون طبيبة او مهندسة وما الى ذلك من المهن الحرة، لفعلت. ولكن ماذا يضير المرأة ان تكون زوجة فتدير شؤون بيتها بحيث يشعر أهله بأنهم آمنون هانئون، وتقيم الحفلات العائلية المرحة، وترتدي أجمل الثياب، وتربي أولادها على حسن السلوك . . . أليس في هذا العمل مساهمة ضخمة؟

قالت لها لورا:

- ولكن الأطفال يبعثون الضجر. فهم لا يتوقفون طول النهار عن طرح السؤالات السخيفة عن هذا الشيء أو ذاك. لي أصدقاء كادوا يفقدون رشدهم بسبب ذلك!

فأجابت انطونيا:

- ولكن ذلك لا يدوم وقتاً طويلا . . . ثم ان المرأة في وظيفتها خارج بيتها لا بد أن تلتقي كثيراً من الكبار الذين لا يقلون عن الصغار ازعاجاً، وان بطريقة أخرى.

- آه، نعم. هذا صحيح كل الصحة. ولكن مع ذلك، فان الحمل الضجر من الكبار أكثر من الصغار. في كل حال، فسيساعدك أنت في تربية أولادك الأربعة خدم وعلى رأسهم مربية. مع أن لي صديقات لم ينجهن الخدم ولا المربيات من مضايقة صغارهن. كما أن لي صديقات أخريات لا قدرة لهن على استخدام من يساعدهن؟

- ألا تساعدهن امهاتهن أحياناً؟

- في هذه البلاد الآن، غالباً ما تكون الأمهات مقيمات في مكان بعيد. واذا كن مقيمات في المدينة ذاتها، فهن يعملن لتوفير ثمن السيارة والثلاجة!

- قال لي كال ان الانسان لا يمكنه الحصول على كل شيء في الحياة، ولذلك فعليه أن يختار ما يفضله على غيره!

- [illegible] كال أن يتذرع النظريات، فهو رجل يستطيع [illegible] كل ما يريد!

- ليس [illegible]. والمثل على ذلك الآنسة ديانا وستر. فهي لم تقبل به زوجاً لها، لأن مهنتها أهم منه في نظرها.

[illegible] انطونيا على ابداء هذه الملاحظة، ولكن بعد فوات الأوان، اذ اجابتها لورا قائلة:

- لم تقبل به زوجاً لها، لا رفيق. فهو عاشرها ستة أشهر، ولعله هو الذي انفصل عنها وان كانت هي التي أشاعت انها رفضته. فما من رجل يشيع أن امرأة ما رفضت الزواج، وعلى الأخص كال. على انه لم ينكر الاشاعة، لأنه لم يشأ أن يهينها.

ووضعت انطونيا حداً لهذا الحديث بدعوتها لورا الى تناول الشاي في الحديقة. ثم انقضت بقية الزيارة في الحديث عن الأزياء. ومع أن انطونيا نوت أن تكون حلوة المعشر مع لورا، الا انها انشرحت حين [illegible]. وكان واضحاً ان لورا لم تكن سعيدة في حياتها، وهذا ما [illegible] رفيقة مزعجة.

[illegible] ان انطونيا التقت بعد حين في ذلك النهار، امرأة أقدر منها [illegible] شعرت بالتجاوب معها في الحال. كانت تدعى فاني رانكن، [illegible] زوجها طوم رئيس احدى الشركات. وصدف أن كانا أول من [illegible] كال وانطونيا الى تناول طعام العشاء. ولما سألت انطونيا كال عن [illegible]، رفض وقال لها انه يفضل أن يتركها تكوّن بنفسها هذا [illegible].

[illegible] طوم وزوجته يقيمان في منزل قديم يصله بالطريق العام [illegible] ضيق متعرج. وحين وصل كال وانطونيا الى هناك، وجداه [illegible] بدراجة متوقفة الى جانب الرصيف. وفيما كال يوقف سيارته [illegible] يزيح الدراجة عن الطريق، خرجت فتاة في سن المراهقة من [illegible] وقالت لاهثة:

- [illegible] كال [illegible] على [illegible] دراجته في [illegible] قبل ان يدخل لتناول طعام العشاء، ولكنه كثيراً ما ينسى ان [illegible] ذلك!

[illegible] الفتاة أن تمسك الدراجة لتنقلها، ولكن كال سارع الى [illegible] وقال:

- [illegible] أخذها الى الكاراج، واذهبي أنت الى انطونيا وعرفي [illegible].

[illegible] الفتاة نحو السيارة، فنزلت انطونيا لتحيتها. ولكن الفتاة [illegible] بالقول:

- [illegible] بخير أيتها السيدة برنارد... اسمي روز وأنا أصغر [illegible] وأخشى أن تنقضي وقتاً طويلاً على تمييز واحدنا من الآخر. [illegible] سبعة أولاد، أربعة منهم هم الكبار، والباقون هم

الصغار... وكونك قادمة من اسبانيا، يجعلك معتادة على مثل هذه
العائلات الكبيرة.

- طالما تمنيت أن أنتمي الى واحدة منها. ليس لي اخوة و
أخوات، مع الأسف.

وهنا قالت لها روز بحرارة:

- ما أجمل ثوبك...

- شكراً.

وتعجبت انطونيا لقرب روز من القلب، على الرغم من أن اب
جيلها يكونون عادة متوتري الأعصاب في حضرة الغرباء. ولك
سرعان ما اتضح فيما بعد أن حسن الضيافة والمرح هما شعار عائ
رانكن. ثم تعرفت انطونيا على فاني في المطبخ وهي تهيء طعا
العشاء مع عدد من أولادها.

وكان المطبخ كبيراً بحيث اتسع لثلاث خزائن، ولكنه لم يك
كغيره من المطابخ العصرية المصفحة بالبلاستيك. وعندما دخل
انطونيا استقبلتها فاني بترحاب، فأمسكت يدها بيديها الاثن
وصافحتها بحرارة قائلة:

- يسرني أن أتعرف اليك بعد طول انتظار. كال صديق حميم لن
وكم كنا نحاول أن نجد فتاة تليق به. والآن وجدها بنفسه ونح
سعداء لذلك.

وبعد حين دخل كال وطوم رانكن، فصافح كال فاني والتفت
زوجته مخاطباً طوم:

- هذه هي زوجتي يا طوم، فما رأيك فيها؟

- كثيرون من الناس سيرون فيها ما تراه أنت يا كال. ولك
اتساءل ماذا رأت هي فيك...

وأرسل ضحكة عاتية وأمسك بيد انطونيا وقال بالانكليزية ج

عن الاسبانية:

- بيتي هو بيتك يا انطونيا!

قالت له انطونيا وهي تحاول أن تبدو مرتاحة للذراع زوجها التي
تطوق خصرها:

- هل تعرف اسبانيا؟

- قليلاً، مع الأسف. ولكني آمل أن أزيد معرفتي بها...

توقف عن الكلام لأن جرس التلفون رنّ في مكان ما في المنزل،
لابنه ديفي البالغ من العمر نحو احدى عشرة سنة، وكان
بعض القشطة بالمخفقة:

- اعتني بالسيدة برنارد يا ديفي.

ال كال لديفي:

- شراب البرتقال لي ولزوجتي، يا ديفي. ونكون لك من
كرين.

ث قال:

- السيد فلتشر وزوجته سيصلان الى هنا قريباً. دعونا ننتقل الى
الجلوس.

على الرغم من أن غرفة الجلوس تختلف من حيث الشكل عن
الجلوس في المنزل الريفي، الا انها ذكرت انطونيا بها. وفي أثناء
أتيح لها أن تتأمل تفاصيل الغرفة، فوجدت أن الشبه بين
يكمن في السجاد القديم، ولكن الرائع الجمال، الذي كان
الأرض، وفي رفوف الكتب واللوحات الفنية المعلقة على
، وفي أواني الخزف الصينية وستائر الكتان. وكان السيد
وزوجته أصغر سناً من السيد رانكن وزوجته، ولكنهما كانا أكبر
انطونيا. أما السيد فلتشر، ويدعى روس، فكان من عمر
وأما زوجته، تدعى ليلياس، فكانت على الأرجح في أواخر

العشرينات من عمرها.

وفيما كان الجميع جالسين حول مائدة الطعام، سألت ليلياس انطونيا قائلة:

- أين ذهبتما لقضاء شهر العسل، أيتها السيدة برنارد؟

- فقالت لها انطونيا:

- أرجوك أن تناديني باسمي الأول... جئنا الى لندن لقضاء شهر العسل. فعلى الرغم من أن والدي انكليزي، الا انني لم أزر هذه البلاد بعد، ولذلك فضلت أن أقضي شهر العسل في التعرف على أكبر عدد أمكن من المعالم الشهيرة في انكلترا.

وكم كانت دهشتها عظيمة حين رأت أن الجميع ضحكوا لكلامها. وقالت لها فاني:

- لا أظن أن كال بوجودك بابه لان يرى أي شيء آخر!

فقالت انطونيا:

- وعلى كل حال، فهنالك أسباب خاصة جعلتنا نختصر شهر العسل رسمياً. ولكن عما قريب سيكون لنا شهر عسل آخر أطول من هذا، وعندئذ سأختار أين سنقضيه.

قالت هذا الكلام، ونظرت بابتسام الى كال. وهنا قالت ليلياس لزوجها روس:

- أما نحن فلم يكن شهر عسلنا موفقاً. فقد ذهبنا لقضاء اسبوعين في مكان ما في الريف، فلم يتوقف المطر طوال تلك المدة، كما أصبنا بزكام حاد. فبدل ان تفوح مني رائحة النساء كانت تفوح مني رائحة الدواء.

وشعرت انطونيا بالارتياح حين انتقل الحديث من الكلام عن شهر العسل الى الكلام عن البيوت، فسألها روس اين يسكنان، و... علم أنهما يسكنان مؤقتاً في لندن، أراد ان يعرف هل تفضل السكـ...

...الارياف ام في لندن، فأجابت:

- لا فرق عندي. الأمر لكال.

...خاطب روس ليلياس وفاني قائلاً:

- هل سمعتن هذا الكلام من زوجة حديثة العهد بالزواج؟ وأنت ... اغتنم هذه الفرصة وافعل ما تريد الآن. ففرصة خضوع ... لأوامرك لن تطول. فبعد سنة أو سنتين تنقلب الآية وتصبح ... خاضعاً لها في كل شيء!

... له كال:

- الحق عليكم في خضوعكم لزوجاتكم، لأنكم لم تأخذوا طريق ... منذ البداية. فالنساء مثل الخيول، يعوزهن فارس!

... ليلياس بالاجابة على هذا التحدي، فسارعت فاني الى ... قائلة لها:

- ... على هذا التحدي يا ليلياس ... سمعت كال يردد هذا ... من قبل، ولكن من قبل الاثارة لا اكثر ولا أقل. قد يكون في ... التجارية عنيداً حازماً، ولكنني واثقة أنه في حياته الخاصة ... كالخاتم في خنصر انطونيا.

... كال:

- هذا غير صحيح، ولا أظن أن انطونيا تريدني أن أكون كالخاتم ... خنصرها. فالمرأة الحقيقية تأبى أن تكون مع الرجل على قدر ... فهي تريده أن يقود لكي تتبع، وأن يتخذ القرارات الهامة ... القرارات الثانوية، وان يكون هو الذي يأمر عند الضرورة ... تطيع.

... طوع:

- ... هل علمت يا انطونيا أن زوجك رجل متعصب لجنسه، قبل أن ... أم أن حركة التحرر النسائية لم تصل بعد الى اسبانيا؟

وقبل ان تجيبه انطونيا سارع كال الى القول:

- لسوء الطالع ان معظم المساوىء التي تشكو منها اوروبا الشمال
تنتشر في اسبانيا بسرعة البرق، كالعنصرية والمشاكل الصناع
والاعلانات التلفزيونية التي تجعل الناس يعتقدون أن السعادة ره
بتحصيل المال وانفاقه. وأنا لا علم لي بتأثير حركة التحرر النسائية
اسبانيا، ولكني أعلم أن معظم الفتيات نفحة من البراءة. وأ
الشباب بفضل التجنيد الالزامي يتمتعون بالرجولة التي غالباً
يفتقدها شباب سائر البلدان.

وبعد الانتهاء من تناول طعام العشاء عاد الجميع الى غر
الجلوس التي يمكن الخروج منها الى غرفة واسعة يستعملها الأولا
عادة للرقص في الحفلات. وما ان شربوا القهوة وأخذوا يتجاذبو
أطراف الأحاديث، حتى نهض كال من كرسيه وذهب الى حيـ
وضعت الاسطوانات ومال الى [illegible] قائلا:

- أتسمحين لي بأن استمع الى اسطوانة؟

- بكل تأكيد!

فوضع الاسطوانة وأدارها وأقبل نحو انطونيا، وكانت تصغي ال
حديث بين المرأتين من دون أن تشترك فيه، وقال لها باسطاً يده

- تعالي نرقص.

ولم تكن رقصت معه من قبل وكانت الموسيقى هادئة ناعمة فما ا
دخلا حلبة الرقص حتى احتضنها بين ذراعيه وراح يراقصها بشغف
وعلى الرغم من كعب حذائها الطويل، فقد جعلها كال تبد
صغيرة وعاجزة أمام قوته اذا ما شاء أن يستخدمها. وهو قد لا يفعل
ولكن حين قال على مائدة الطعام أن النساء بحاجة الى فارس، كا
بريق القساوة لا الدعابة فحسب في عينيه. ولذلك مالت الى الظن أ
فاني كانت على خطأ حين اعتقدت أنه كان يبتغي الاثارة لا أكثر و

حى. ولم يكن كال كالرجلين الآخرين في السهرة. فمع انها كانت
هل سيرتهما، الا انها حسبت أن أجدادهما عاشوا حياة ترف ورفاهية
شرات السنين، في حين أن الزمن الذي يفصل كال عن شظف
يش في مناجم الفحم لا يتعدى الجيلين. وشعرت انطونيا كذلك
الحيوية الكامنة في كال استهلكت في الرجلين الآخرين بفعل عدة
يال من الرخاء الموروث. فهما يوفران الرغد والحماية لذويهما ما دام
عالم الذي يعيشون فيه يسير في طريقه الاعتيادية. غير ان كال كان
ن الرجال الذين يحتفظون بقدرتهم على توفير الحياة الكريمة للذين في
ضنتهم. واذا وجد نفسه معزولا في القفار او في الادغال، يبقى على
د الحياة في حين يموت الآخرون، لأنه لا يستسلم ما بقيت فيه ذرة
ن القدرة على الاحتمال. ولكن، لماذا أثار رقصها معه مثل هذه
خواطر؟ وبالغ كال في تطويقها بذراعيه. ولعلمه أنها لا تقدر أن
انع وتعترض جعل شفتيه تلامس صدغها. وبذلك ظهرا كما يجب
يظهر عروسان في شهر العسل.

وتمتم كال في أذنها قائلا:

- يجب أن نعتاد على هذا!

فشعرت انطونيا بالضيق لأنه هو الذي يأخذ المبادرة دائماً لاثارة
ظها فلماذا لا تحاول هي، من حين الى آخر، اغاظته والتهكم
ه. وشد كال بيده الواحدة على يدها، وأخذ يداعب بالأخرى
ل ظهرها. ثم اتجه بها الى حيث لا يرى الجالسون في الغرفة
الأخرى ما نوى أن يفعل. وهناك أخذ يلامس بأصابعه عمود ظهرها
الفقري من أعلى الى أسفل. وقال لها بهدوء:

- يجب أن لا تبتدئي شيئاً لست مستعدة لانهائه!

فتطلعت ونظرت في عينيه، فاذا هما تقدحان شرراً كما رأتهما في
ة عرسها. ولما حاولت أن تتراجع لم يمانع في ذلك، ولكن البريق

ترك عينيه، والابتسامة فارقت شفتيه. والى أن بلغت الاسطوا[نة] نهايتها، كان يطوقها كما لو كان يراقص امرأة لا صلة حميمة له بـ[ـها]. وفي نهاية السهرة، وهما يودعان روس وزوجته فاني، قالت هـ[ـذه] الأخيرة لانطونيا:

- تعالي الى زيارتي وحدك اذا شئت. قد تشعرين بالوحشة [في] بادئ الأمر لوجودك في بلاد لا تعرفينها جيداً، ولكن حين تجدين [...] خاصاً بك، فلن تجدي الوقت الكافي لتدبير شؤونه. كم سيـ[...] ذلك ممتعاً. واني أرى من ثيابك التي ترتدينها ان لك ذوقاً رفيعاً.

والتفتت الى كال وتابعت كلامها قائلة:

- وجدت كنزاً ثميناً يا عزيزي كال... وأنت تستحقه.

وانحنى كال وقبلها على خدها. وفيما هو يغادر المنزل مع انطونيـ[ـا] وضع يده على كتفها، ثم فتح لها باب السيارة حين وصلا اليها. و[...] طريقهما الى حيث يقيمان لزم كال الصمت ولم يشأ ان يحدثها [...] السهرة. وقالت له انطونيا:

- آسفة لأنني أغظتك ونحن نرقص.

فلم يجب، مما أثار غضبها وجعلها تنوي أن لا تتفوه بكلمة تلـ[ـك] الليلة. وكان بودها دخول البيت وحدها، فلا تنتظر عودته [...] الكاراج، ولكنها اكتشفت ان المفتاح لم يكن معها ولم تشأ ان تـ[...] جرس الباب لتوقظ الخدم من النوم. ولما عاد وفتح لها الباب وأدخـ[ـلها] قبله كالعادة، أسرعت الى صعود السلم الداخلي الى غرفة النو[م] فناداها وطلب منها الا تفعل. فتوقفت عند أسفل درجات السـ[ـلم] والتفتت اليه بعينين متسائلتين. ولما اقترب منها، تذكرت المرة الأو[لى] التي التقته فيها على الطريق قرب المنزل الريفي في اسبانيا. وقال لـ[ـها]:

- أنت لم تثيري غضبي يا انطونيا، بل جعلتني أرغب بأن تـ[...] وهذه لعبة خطرة. فاياك أن تلعبيها معي، من الآن فصاعداً، الا [...]

[...] على استعداد لتحمل العاقبة. واذا كنت في مرة مقبلة، [...]ستجيبين لمداعبتي لك أثناء الرقص، سأفهم من ذلك أنك [...]ـبيني. والآن، طابت ليلتك.

[و]أدار ظهره وتوجه الى غرفة الجلوس وأغلق الباب وراءه. وفيما [...] تصعد السلم، وجدت نفسها ترتجف من الخوف الممزوج [...]ـسى والغيظ. ذلك أن كال أراها جانباً من شخصيته كانت لا [...]ـب في وجوده أحياناً، ولكنها لم تكن متأكدة منه، وهو الجانب [...]ـرس العنيد الكامن وراء مظاهر التهذيب واللباقة فيه. فهو حين [...]ـب ذلك الكلام انما أراد ان يجعلها تدرك انه لم يكن زوجها [فحـ]ـسب، بل سيدها ايضا، وانه يقدر ان يفعل ما يشاء بها.

[...] لم يسألها طوم أثناء السهرة قائلاً:

[...] هل علمت أنه متعصب لجنسه، قبل أن تتزوجيه، يا انطونيا؟

[...] هذا السؤال في معرض المزاح، ولكن حين قال كال عن [...] انه يأمر ليطاع، فانه كان جاداً في قوله لا مازحاً. ولذلك [...]ـيل [انـ]ـطونيا انها اذا طلبت منه أن يتركها وشأنها، لا يرفض فحسب، بل [...]ـورع عن أخذها بالقوة المجردة، وانما بنوع ما من أنواع العنف.

[...] انطونيا لم تكن تجتمع كثيراً بكال الا في الليالي، لانشغاله [بالاجتـ]ـماعات والمؤتمرات، فانه كرس يوماً في الاسبوع للتجول معها [في الـ]ـبلاد لتزداد معرفتها بها. وفي بعض الأحيان حين كان يطير الى [...]ـة بعيدة ليتفقد عملاً من الأعمال، كان يصطحبها. ولكن كان [...] تسلي نفسها أثناء انصرافه الى قضاء مهمته. وكان كال قادراً [...]ـادة الطائرة بنفسه، ولكنه قلما فعل، مفضلاً أن يقضي الوقت [...]ـطالعة التقارير. وكانت انطونيا تتمتع كثيراً بهذه الرحلات، لان [...] كانت تطير على ارتفاع يسمح لها بأن ترى الحقول والغابات [...] وكانا، عند وصولهما الى المكان الذي يقصدانه، يجدان سائقاً

ينتظرهما مع سيارته. وكانت تنزل من السيارة في أقرب مد…
المكان الذي كان يعمل فيه كال. وكان كال يلاقيها بعض الأحـ… كلايدون الذي عاشت فيه الممرضة الشهيرة فلورنس نايتنغيل
مطعم ما لتناول طعام الغداء، ولكنه غالباً ما كان يتناوله في … من الزمن، ثم امتلكته الدولة وجعله مزاراً يحتوي على أشياء
عمله. وعندئذ كانت انطونيا تأكل طعامها وحدها في أحد المقا… ـمرضة التي بقيت سيدة المصباح في حرب القرم بين الروس
وكان من عادته الا يتركها تتجول في مكان دون أن يعرف ما… ـكليز. وسألته كال قائلة:
مما يستحق الاهتمام وأين يوجد، فيزودها بجميع المعلومات الـ… هل علمت من قبل بعلاقة الآنسة نايتنغيل بهذا المنزل؟
بهذا الشأن. ومع ان جهازه الاداري كان يقوم بتحضيرها … نعم، واعتقدت أن مشاهدتك لهذا المنزل يجعل سيرة حياة
حرص على كتابتها بخط يده البارز الواضح. …ـة نايتنغيل التي تطالعينها هذه الأيام اكثر متعة.
وبهذه الطريقة أتيح لانطونيا أن تشاهد في كافنتري الكاتـ… ـأثرت انطونيا من شدة اهتمامه بها. وفي احدى الأمسيات قال
الحديثة ذات الحجارة الوردية والسجادة البالغ ارتفاعها ٧٥ قـ…
والتي صممها الفنان غراهام سوزرلاند ثم حيكت في فرنـ… أرجو الا يكون عندك غداً أي ارتباط.
وفي مدينة بيرمنغهام زارت انطونيا، بناء على مشورة … كلا، لماذا؟
المتحف الوطني فشاهدت أعمال الرسام بيرن جونز ووليم مو… لقد هيأت لك موعداً للغداء في الساعة الواحدة في فندق هايد
الذي سميت باسمه لأن البيت الذي … هي وكال يحوي…
ورق جدران صممها ذلك الفنان. وحين كانا يتجولان معاً … معك؟
يذهبان عادة الى داخل البلاد. وأكثر ما أثار بهجتها منظر الطـ… كلا. مع خالك!
مقاطعة بكنغهام شاير لأنه جاء مطابقاً لما تصورته عن انكلترا: … تيو بواكين؟ هل هو قادم الى لندن؟
سوداء وبيضاء، ودروب ملتوية، وكنائس ريفية قديمة محاطة بحـ… ـقط لثلاث أو أربع ساعات. قدم الى باريس لتصريف بعض
معشبة تختلف كل الاختلاف عن الحدائق القائمة وسط المـ… وتلفن هذا الصباح وطلب مني أن أحجز مائدة في مكان
المحاطة بأسوار من الحجارة البيضاء في ضواحي القرى الاسـ… وبما ان زيارته قصيرة، فقد تفضلين تناول الطعام معه على
وفي احدى المرات تناولا الطعام في احدى تلك الحدائق، فسرّها…
جداً، خصوصاً لأن كال لم يأت على ذكر أي شأن من شـ… ـذا لا يقضي الليلة عندنا؟ هل اقترحت ذلك عليه؟
الخاصة، بل تحدث عن الصناعة وأثرها في النفس، وهو موضو… ـعاً، ولكنه لم يقتنع. أظن انه لا يريد ازعاجنا في مطلع
يثير اهتمامه جداً. وقد أصغت اليه بسرور شديد. …
وبعدما فرغا من تناول الطعام ذهبا الى مشاهدة المنزل المـ… ـنا يذكرني بأنه يجب ان نزور والدك يا كال!
…ـستعمل عما قريب. ولكن العائلات الانكليزية ليست

كالعائلات الاسبانية تشعر بالقرابة كشعور حميم. فوالدي لا يجتمع بي الا لماماً، ولا يشعر بالاسامة اذا أرجأنا زيارتنا له اسبوعاً او اسبوعين!

ولم يرق ذلك لانطونيا، وتساءلت اذا كان هو ايضا سيقف هذا الموقف مع أولاده فيما بعد. على انها تذكرت انه ذكر وجوب اهتمام الأب بأولاده في حديثه، مرة، عن دور الأب في حياة عائلته.

وفي كل حال، لم يكن موقفها هي من أفراد عائلتها فاتراً كموقف كال من أفراد عائلته. ولذلك فانها كادت ألا يغمض لها جفن تلك الليلة لشوقها الى رؤية خالها في يوم غد.

ولما التقته في مطعم الفندق بالموعد المعين، كان أول سؤال وجهه اليها هو:

- هل أنت سعيدة في انكلترا يا انطونيا؟ هل يوفر لك زوجك الهناء؟

فأجابته قائلة:

- أحب انكلترا كثيراً. ولندن مدينة رائعة. وقد ينفق الواحد سنة كاملة للتعرف الى متاحفها المتعددة وقصورها التاريخية الشهيرة. هذا فضلا عن أسواقها وبضائعها التي تثير الاعجاب.

وأسرفت انطونيا في امتداح لندن وسعادتها في اقامتها هناك، على أمل أن تصرف خالها عن الاستعلام منها عن سعادتها الزوجية، فنجحت الى حين.

وقال لها خالها:

- يبدو أنك نسيت أنني قضيت بضع سنوات في لندن وأنا في عهد الشباب. ولكن هذا كان لخمس وعشرين سنة خلت. واحسب انها تغيرت اليوم كثيراً، كما في غير لندن من المدن. ففي تلك الأيام لم يكن هنالك ضجيج، مثلاً، كما في هذه الأيام.

وفي أثناء الغداء نجحت انطونيا في ابعاد الحديث عن شؤونها الخاصة، وذلك بالاكثار من الأسئلة عن اقربائها في اسبانيا وبتحريض خالها على الاسهاب في وصف حياته عندما كان يسكن في لندن.

وبعد الانتهاء من الغداء استقلا تاكسي الى شارع ريجنت ليشتري بعض الهدايا لاخته.

وفي السيارة قال لانطونيا:

- ويجب أن أشتري لك هدية أو هديتين، عزيزتي ليزداد سروري، مع العلم أن كال يحتكر اليوم هذا السرور!

وتوقف عن الكلام ونظر اليها متفحصاً، فتجنبت نظراته من دون أن تميل بوجهها عنه لئلا يشك في حقيقة أمرها مع كال.

وتابع كلامه قائلاً:

- لم أجدك مزدهرة كما توقعت، ولكن ربما يكون هنالك سبب. فكثير من النساء لا يكن في أفضل حالاتهن وهن حاملات!

فاحمرّ وجهها وقالت:

- أنا لست حاملا يا تيو، فأنا وكال لا نريد أن نبدأ بانشاء عائلة الآن، خصوصاً وأنا بعد في مقتبل العمر ولدي وقت طويل. وقد نقضي سنة او أكثر على زواجنا قبل ان نفكر بالانجاب!

- وهل أنت تتعلمين أن تحبيه يا عزيزتي؟

فاحمرّ وجهها ايضا وقالت:

- مع الوقت يا تيو. اعطني وقتاً. واذا كنت ذابلة الوجه اليوم، فلأنني صرفت معظم الليل متشوقة للقائك. ليتك تقضي الليلة عندنا. الا تقدر؟ وهل هذا مستحيل؟

- هذه المرة، نعم مستحيل. في المرة المقبلة آمل أن أصرف هنا وقتاً أطول، خصوصاً اذا كنتما في ذلك الحين مستقرين في بيتكما الخاص

بكما. والبيت الذي استأجرتماه يبدو مريحاً، كما وصفته لي
رسائلك، ولكنك على ما أعتقد تتطلعين بشوق الى اليوم الذي يكـ
لكما فيه بيت خاص بكما. وكال أحسن صنعاً حين أتى لك بخدم
الاسبان؟

- نعم، لا احد كان في وسعه أن يفعل أكثر مما فعله كال ليجعـ
أشعر هنا كأنني في وطني. ثم ان معرفتي بالانكليزية ساعدت
ذلك كثيراً...

- أراك تغيرت قليلاً. كان فيك دائماً شيء من صفات والد
وأراه الآن ازداد بروزاً.

- صحيح؟ ولكنني لا أشعر بالاختلاف!

ورفض خالها أن ترافقه الى المطار، فودعها على رصيف الفند
واستقل سيارة اجرة.

وتركت انطونيا الهدية التي اشتراها لها خالها في الفندق، ر
تذهب وتشتري كتاباً نزل ذلك اليوم الى الأسواق وكان كال ينتظر
صدوره بفارغ صبر.

وحين وصلت الى البيت عزمت على وضع الكتاب بجانب سر
ليجده، قبل أن ينام تلك الليلة. وكانت هذه هي المرة الأولى ال
دخلت فيها الى غرفة نومه، فجالت بنظرها في أرجائها لترى اذا كا
كال طبعها بطابعه الشخصي.

كان اول شيء لاحظته هو ترتيب الغرفة، ولكن هذا لم يكـ
بالضرورة عائداً الى كال نفسه، اذ كان الخادم ماركوس مسؤ
الاعتناء بالغرفة وعلى كل حال، فهي لم تتذكر أنها احتاجت الى الـ
بترتيب أي شيء، يخص كال، حين كانا ينامان في غرفة واحد

وكان البرهان الوحيد على أن الغرفة يسكنها أحد هو وجود ر
يمثل دوق ولنغتون، ورف كتب قرب السرير، ومعظمها يبحث

ضوعات تحوز اهتمام كال. ولكن كم كان عجبها شديداً حين
ت بين الكتب رواية ومجموعة شعر!

وماذا عن رأس الدوق؟ أيكون من مخلفات البيت الذي كان
نه قبل الزواج، أم ان كال احتفظ به لأنه معجب بذلك القائد
يم الذي غلب نابوليون؟ وعلى كل حال، فانها رأت أن من الخير
تزداد معرفة بسيرة حياته.

وكان اليوم التالي يوماً يقضيه كال برفقتها. وفيما هما يخرجان من
قال لها:

- أشكرك على الهدية التي وجدتها قرب سريري الليلة الماضية!

وهمّت بأن تجيبه انها لا تستحق الشكر على ذلك لأن الهدية هي من
ه الخاص، الا انها غيّرت رأيها وقالت:

- قلت لي انك تريد أن تقرأ ذلك الكتاب، واني أرجو أن يكون
اً ومفيداً كما وصفه النقاد.

- نعم، انه كتاب رائع حقاً... حرمني النوم معظم الليل.

ونظر اليها هنيهة ثم قال:

- ارجو الا تكوني من الذين لا ينامون والضوء مشتعل في الغرفة،
ساكون حزيناً اذا حرمت من القراءة في الفراش.

فقالت له:

- وأنا أيضاً أحب ان أقرأ في الفراش. واذا أردت ان تتابع القراءة
ان اكون انتهيت منها، فبامكانك أن تفعل ذلك لأن الضوء لا
جني.

- وكيف لك ان تعرفي ذلك وأنت لم تشاركي احداً في غرفة
ك؟

- كنت أشارك بنات اختي في النوم مراراً!

- ولا مع رجل؟

- كلا.

فقال ساخراً:

- نحن الرجال لسنا جنساً غريباً عجيباً، شرط أن تعتاد المرأة علينا... اذا جرحت أحد، أفلا تنزف دماً؟ واذا أسيء الينا، أفلا ننتقم؟

وتجاهلت انطونيا لهجته التهكمية وقالت:

- ذكرني كلامك بأن أسألك هل تدعو اختك لورا الى العشاء يوماً ما؟ خيل الي يوم جاءت الى زيارتي أنها امرأة بائسة. هل بالامكان مصالحتها مع زوجها؟

فأجابها كال بعدم مبالاة:

- لا أظن ذلك. ادعيها الى العشاء اذا شئت، ولكن توقفي عند هذا الحد. علينا ان نحل مشاكلنا الزوجية قبل أن نعنى بحل مشاكل سوانا...

وشعرت بوطأة كلامه فلزمت الصمت الى ان وصلا الى حيث يقصدان، وهو قلعة وندسور التي توصف بأنها أضخم قلعة مسكونة في العالم.

وقال كال:

- في الشهر المقبل ستنزل الملكة في هذه القلعة لمناسبة سباق الخيل في اسكوت التي تبعد بضعة أميال من هنا...

وبعد ان طافا في القلعة وشاهدا الأشياء الأثرية والتاريخية القديمة الرائعة، عادا الى السيارة وتناولا الطعام من الزاد الذي حملاه معهما. فعلا ذلك على ضفة نهر التايمس، حيث كان يقابلهما على الضفة الأخرى جامعة ايتن الشهيرة.

وقال لها [illegible] بلهجة لها مغزاها:

- ما رأيك؟ هل نرسل أولادنا، يوماً ما الى هذه الجامعة؟

- هل في مقدورنا ان نفعل ذلك؟ حسبت أن أولاد الطبقة الأرستقراطية وحدهم يحق لهم الالتحاق بهذه الجامعة!

- كان ذلك فيما مضى، لا في هذه الأيام التي أصبح فيها للمال قيمة تفوق قيمة الحسب والنسب.

تعجبت للهجته الانتقادية، فلاحظ ذلك وقال لها:

- أنا عضو في مجلس أمناء مدرستي، وما ذلك على الأكثر الا لأنهم ينتظرون مني مساهمة مالية لبناء مختبر جديد أو لتعزيز قسم الرياضة البدنية.

- ما رأيك في مدرستك؟

- كانت على أيامي معهداً راقياً جداً، يتولى أموره رئيس ومعلمون في غاية الأهلية والكفاءة، يعنون بتربية شخصية الطالب لا تلقينه المعارف فقط. فقد تعلمت من المبادئ الرفيعة والقيم الخالدة، وأنا الحديث الشيء مع معلمي ورفاقي أكثر مما تعلمت على مقعد الدراسة. ولكن مستوى تلك المدرسة، مع الأسف، انحدر مع الايام. فالرئيس القديم توفي، وخلفه آخر لا كفاءة له...

- هل خضعت للتأديب بالعصا؟

- نعم، عدة مرات. لم يلحقني من جراء ذلك أي اذى، ولم استعض منه لأنني كنت أستحق التأديب.

- وهل كنت تدخن في تلك الأيام؟

- نعم، ولسنوات من بعد، الى ان اتضح لي جلياً ان التدخين مضر بالصحة. وأنا أحب الحياة كثيراً، فلا أريد ان أضع عقبة في طريقها. وأنت هل جربت التدخين مرة؟

- دخنت سيكارة واحدة، فلم ترق لي.

- الانسان عادة لا يتمتع بالسيكارة الأولى. ولكن لا يطول الوقت حتى يصبح مدمناً على التدخين. وفضلاً عن الضرر، فالتدخين يعيق

التمتع بلذائذ اخرى. . .

- هل تقصد تسلق الجبال والغوص في مياه البحر، وما الى ذلك؟

- نعم، ولكني كنت أفكر بشيء آخر، فأنا لا أبالي بطعم أحمر الشفاه، ولكني أتضايق من نكهة التبغ. . .

فأحرجها هذا الكلام، فمالت لتنظر الى واجهة حانوت فيه أشياء أثرية. وأظهرت اعجابها حين شاهدت كرسياً خشبياً قديماً وعليه طراحة حريرية ذات لون اخضر فاتح.

فسألها كال قائلاً:

- هل تريدينها؟

- نعم، فهي جميلة جداً، ولكن. . .

فلم يدعها تكمل جملتها، اذ سرعان ما أدخلها الى الحانوت واشترى لها الكرسي. وقد تبين أن الكرسي من عهد الملك لويس السادس عشر، وحين علمت انطونيا بثمنها، شهقت لفخامته.

وقال لها:

- هذه الكرسي أول قطعة من أثاث بيتنا العتيد. . . وهي تليق بغرفة نومنا.

ولم يخف ضمير الجمع في كلمة «نومنا» على انطونيا.

وفي تلك الليلة، وانطونيا مستلقية في فراشها، تذكرت زيارة لورا لها وما أخبرتها عن كال وديانا وبستر، من ان كال قضى في عشرتها ستة أشهر. فهل هذا يعني أن ديانا عاشت معه تحت سقف واحد؟ أم انهما اقتصرا في علاقتهما على الحب كلما أتيحت لهما الفرصة؟

وأقرت انطونيا أن ماضي كال لا شأن لها فيه، وأن لا حق لها أن تغار. وفي الواقع فهي لم تكن تشعر بالغيرة الا شعوراً اعتيادياً، ذلك لأنه كان منزهاً عن البغض. كل ما في الأمر انها شعرت بالانزعاج من كون ديانا هي المرأة الثانية التي وقع عليها اختيار كال، وانها لم تكن متزوجة من أحد وهي لا تزال تميل الى كال ولو لم تقبل به زوجاً.

وتساءلت انطونيا اذا كان كال أحب ديانا ولا يزال يحبها، كما تساءلت اذا كانت هي ايضا أحبته ولا تزال تحبه. وتعجبت انطونيا كيف انها رفضت الزواج به اذا كانت احبته حقاً!

وفي الصباح التالي، حين جاءت روشيو بصينية طعام الفطور الى انطونيا وهي في الفراش، كان على الصينية رزمة صغيرة. وكانت روشيو برفقة ماركوس الذي كان يحمل اناء زهور بيضاء.

فقالت انطونيا متعجبة:

- ولكن اليوم ليس ذكرى مولدي، فلماذا هذه الزهور؟

فأجابتها روشيو مبتسمة:

- السيد برنارد مغرم بك أكثر مما أنت مغرمة به، سيدتي انطونيا. هذا اليوم ذكرى مرور شهر على زواجكما. والليلة ستحتفلان بهذه الذكرى السعيدة، لأن السيد ترك تعليمات بأن تشتري لك ثوباً جديداً، وستذهبان معاً الى المسرح، ثم تعودان الى هنا لتناول عشاء خاص بالمناسبة.

وخرج ماركوس من الغرفة بعدما وضع اناء الزهور على الطاولة، ولكن روشيو تأخرت عن الخروج لترى ماذا في الرزمة.

وفتحت انطونيا الرزمة، فصرخت المرأتان من الدهشة عندما وقعت أعينهما على عقد من الماس في علبة من المخمل الأزرق. وكان شكل العقد غاية في البساطة وقد نقش على الماسة التي تتوسط العقد الحرف (أ).

وأسرعت روشيو الى طاولة التزيين وجلبت لانطونيا مرآة اليد وقالت لها:

- جربيه يا سنيورا. يا لها من هدية رائعة. . . آه، كم هو يحبك! ووضعت انطونيا العقد حول عنقها وتطلعت اليه في المرآة، فاذا

هو على قياسها تماماً. وسرتها بساطته التي تفضلها على الاسراف في الزخرفة والنقش. ثم ان بساطته جعلته صالحاً لان يلبس في كل المناسبات.

وأعادت انطونيا العقد الى علبته بعناية. ولما خرجت روشيو من الغرفة تناولت طعام الفطور وهي تتساءل لماذا خطر ببال كال أن يقدم اليها هذه الهدية الثمينة.

فهو، كما عرفته، رجل عملي لا يأبه كثيراً للمبادرات الغرامية الرومنسية، واذن فهناك سبب واقعي حمله على تقديم هدية كهذه. فما هو ذلك السبب؟

وبعد التفكير لم تجد انطونيا الا واحداً من أمرين: اما انه قدم اليها الهدية لأن ضميره يؤنبه لخيانته لها مع امرأة أخرى، واما انه يريدها هي ان تشعر بتأنيب الضمير لأنها لا تعامله معاملة الزوجة لزوجها.

ونظرت الى اناء الزهور البيضاء وتساءلت: هل أراد بهذه الزهور البيضاء، أن يذكرني بطهارتي؟

وفيما بعد وجدت في قاعة البيت ظرفاً معنوناً باسمها، ولما فتحته وجدت في داخله شيكاً على بياض وقعه كال لأمرها، لتشتري الثوب الخاص بتلك المناسبة.

على أن انطونيا لم تذهب الى شراء الثوب الجديد، لا لأنها كانت تتضايق من انفاق مال كال لقاء لا شيء تعطيه اياه، بل لأن في خزانتها ثوباً لم تلبسه بعد، يليق بالمناسبة ويتلاءم مع العقد الماسي.

وحين خرجت من البيت الى لقاء كال تلك الليلة، هتفت روشيو من شدة الاعجاب قائلة:

- آه، ما أجملك يا سيدتي!

كانت انطونيا تدرك أنها تبدو فاتنة الجمال، لاسيما أنها صرفت معظم النهار في تصفيف شعرها عند أشهر المزينين، وفي صبغ أناملها بالحمرة. وكان ثوبها من الحرير الأسود الشفاف، وحذاؤها من جلد الحية الأسود، اشترته من أفخم حانوت لبيع الأحذية النسائية في فالنسيا، وكذلك حقيبة يدها الصغيرة. وكان العقد الماسي يطوق عنقها، والحلق الذي هو من الماس ايضاً يزين أذنيها. وكانت أساور الزمرد والياقوت في يدها اليسرى، فيما ألقت معطفها الفرو الثمين على يدها اليمنى.

كان الطقس في تلك الليلة الصيفية رائعاً. وفيما التاكسي التي استدعاها لها ماركوس تسير بها الى حيث موعدها مع كال، لم تتمالك من الشعور بالغبطة لكونها في عز الفتوة ومنتهى الجمال، وفي طريقها الى لقاء رجل ذي مكانة مرموقة. ولم يخطر ببالها قط أن السهرة قد لا تنتهي على ما يرام مثلما ابتدأت.

وكان كال بانتظارها في باحة مطعم شهير، حيث حجز طاولة لاثنين. وبدا لانطونيا وهي تصافحه انه وصل الى هناك مبكراً، ذلك انها لاحظت وجود قدح شراب فارغ.

وقال لها:

- هل لاحظت أن أنظار جميع الجالسين هنا شخصت اليك حين دخلت؟

- أظنهم دهشوا لهذا!

وأشارت الى عقد الماس في عنقها، وأضافت قائلة:

- انه رائع الجمال يا كال، ولكنه ثمين جداً لهذه المناسبة!

فأجابها بصوت خافت:

- عندما يكون للرجل امرأة جميلة، فهو لا يحتاج الى مناسبة أو مبرر ليشتري لها حلى. جمالها مناسبة كافية ومبرر وجيه. ثم ان الماس وجد للبشرة الفتية، ولكن غالباً ما تلبسه العجائز! والآن يجب أن تتأكدي أن الناس هنا دهشوا لفرط اعجابهم بك بجمالك!

وحين تكلم اليها بمثل هذه اللهجة، شعرت في أعماقها برغبته الجامحة التي تضطرم في نفسه. فقالت له:

- على كل حال، أشكرك... وأشكرك أيضاً على آنية الزهور. وشيو تعتقد أنك عاشق ولهان!

فحدق اليها بامعان وقال:

- تعجبني طريقة تصفيف شعرك هذه، والثوب أيضاً. والآن دعينا نشرب نخب الشهور الآتية...

واستغربت انطونيا أن تروق لها ثقته بزواجها. فهو شديد الثقة بالنفس وبما يعمل. وتذكرت أن أباها كان كذلك، بخلاف باكو الذي كان يفتقر الى من يعزز ثقته بنفسه، وهذا طبيعي لأنه لم ينشأ على اصدار الأوامر واتخاذ القرارات.

ولا كال أيضاً وهو في صباه، مع انه تربى في معهد راق يعنى بانماء صفات القيادة والاتكال على النفس. ومالت انطونيا الى الاعتقاد أن كال، ولو انه لم ينشأ على تلك الصفات، فهو بطبيعته قادر أن يصعد الى القمة في كل ما يعمل.

وسألته انطونيا وهما يأكلان طعاماً خفيفاً يرد عنهما الجوع الى نهاية المسرحية:

- الى أي مسرح نحن ذاهبان؟

- الى المسرح الملكي في هاليماركت.

وكانت انطونيا تأمل أن يختار الذهاب الى هذا المسرح، لأنها قرأت في الصحف ذلك الصباح مديحاً للمسرحية التي كانت تعرض فيه.

وبعد نحو نصف ساعة كانا يأخذان مكانيهما في المسرح، فتساءلت انطونيا اذا كان كال سيكرر التصرف ذاته الذي بدر منه في المرة السابقة

ولكن ما ان بدأت المسرحية حتى شغلت بها عن أي شيء آخر.

وحين أسدل الستار على الفصل الأول بقيا في مقعديهما لأنهما لا يدخنان. فأقبل عليهما رجل متقدم في السن يعرف كال. ولما قدمه كال الى انطونيا، جلس في المقعد الشاغر وأخذ يحدثهما الى أن عاد المشاهدون الى احتلال مقاعدهم لمشاهدة بقية المسرحية.

وانتهى الفصلان الثاني والثالث من دون أن يبدر عن كال أي تصرف يمنعها من التركيز التام على المسرحية. وفي طريقهما الى الخارج وضع كال يده عليها ليقودها وسط ازدحام الخارجين من المسرح.

وعندما وصلا الى البيت وجدت انطونيا طاولة عليها الشموع، أقيمت في غرفة الجلوس. وكان ماركوس واقفاً ينتظر قدومهما للقيام بخدمتهما.

وكان الطعام الذي أمر كال ماركوس أن يهيئه طعاماً اسبانياً شهياً. وبعد أن فرغا من الطعام وتناولا القهوة غادرهما ماركوس مودعاً.

وقال لها كال:

- علينا من الآن فصاعداً ان نبحث عن بيت نشتريه لنا. وأحب أن يتم ذلك قبل نهاية السنة...

وتوقف عن الكلام، ثم تابع قائلا وهو يخرج دفتر شيكاته من جيبه:

- على فكرة، هل لك ان تملأي أرومة الشيك الذي دفعت به ثمن هذا الثوب الذي ترتدينه؟

- لم استعمل الشيك يا كال. كان هذا الثوب في خزانتي ولم ألبسه فرأيت انه يناسب العشاء الذي أهديتني اياه. وضعت الشيك في الغرفة الأخرى، فدعني أجلبه لك.

وفيما هي تمر قربه أمسكها بمعصمها وقال لها:

ـ لماذا لا تشترين به شيئاً آخر؟

ـ هذا كرم فائق منك، ولكني لا أحتاج الى شيء الآن. شكراً.

فقال لها كال بعصبية:

ـ لم نسمع أن امرأة احتاجت الى ثياب قبلما تشتريها. . . وبما أنني حرمت أن أنزع عنك ثيابك، فدعيني على الأقل ألبسك اياها!

قال هذا الكلام بلهجة جعلت خديها يتقدان حمرة. وحاولت ان تفلت معصمها من قبضته، الا انه زاد في الشد عليها. وجذبها اليه وأقعدها في حضنه وأخذ يعانقها وهي عاجزة مشدوهة.

وقال لها:

ـ سأنزع عنك حلاك. . .

ولم تبد أية مقاومة، بل استسلمت اليه بصمت. وشعرت انه لم يعد غريباً بالنسبة اليها، وانما اصبح رجلا أخذت تغرم به شيئاً فشيئاً لشهامته وطول أناته.

وفي لحظة كانت انطونيا عارية الكتفين، بينما راح كال يلثمهم بنظراته عنقها الغض.

وحين أدركت انطونيا انها لم تعد تستطيع المقاومة غلبها البكاء وهي تستسلم اليه. ونهض كال وأوقفها على قدميها وقال لها بصوت أجش:

ـ لا ترتعبي. . لن أحنث بوعدي لك هذه الليلة. . . يمكنني الانتظار، ولكن لا الى وقت طويل.

وفيما هو يخرج من الغرفة، همت بأن تتبعه. غير انها شعرت، على الرغم من انه لم يعد غريباً بالنسبة اليها، بأنها لم تصبح بعد مستعدة لمبادلته الحب بالطريقة التي يطلبها منها.

وبعدما خرج كال من الغرفة أعادت ثوبها كالسابق وهي تعجب للتغير الذي طرأ عليها منذ ليلة زواجهما حتى الآن. فهي لم تشعر كما

شعرت تلك الليلة، بالنفور والاشمئزاز ولا بخيانة ذكرى باكو ان هي وهبت نفسها لكال الذي أثار فيها هذه المرة أحاسيس أعمق مما أتيح لها أن تختبره من قبل. وبدا لها الآن أن في أعماق نفسها جمرة متقدة اذا تعرضت لنسيم الحب تأججت واستحالت الى لهيب. . .

فهل لهذا علاقة بالحب؟

٤- وانهارت أسوار القلب

ولم تجتمع انطونيا بزوجها كال حتى مساء النهار التالي. وبدا لها أن ذلك النهار لا ينتهي، لأنها لم تستطع التفكير الّا بما حدث في الليلة الفائتة. وتساءلت اذا كانت الأفكار نفسها التي تراودها تراود كال ايضاً.

وفي تلك الليلة كانا على موعد للذهاب الى حفلة عشاء في بيت آل فلتشرز. ورجع كال الى البيت متأخراً، بحيث لم يكن لديه الّا الوقت "كافي" للاستحمام وارتداء ثيابه قبل الذهاب الى الحفلة.

ولم تكـ[illegible] انطونيا بكلمة، اذ ماذا عساها ان تقول له؟ وفيما هو يقود السيارة امسك يدها بيده اليسرى وأدناها الى شفتيه وطبع عليها قبلة.

ولأول وهلة لم تفهم انطونيا المغزى من مبادرته هذه، الّا أن الدموع تساقطت من عينيها. وقبل أن يعيد يدها الى حضنها، شدت على يده بأناملها.

ووصلا الى البيت وهما يتبادلان الشعور بالمودة والوفاق.

ودعي كال وانطونيا أيضاً بعد وقت قصير لقضاء سهرة في ضيافة أحد شركاء كال في الريف، ويدعى مارشال.

وعندما أخبرها كال عن الدعوة قال لها:

ـ قبول الدعوة يعني أننا سنقضي الليلة هناك، وسنضطر الى النوم في غرفة واحدة. وأغلب الظن أن الأسرة في غرف نوم الضيوف ذات سريرين.

وكان آل مارشال يقطنون في منزل قديم أضافوا اليه بركة سباحة.

وحين وصل كال وانطونيا كانت البركة تغص بالاولاد، بينما جلس الآباء والأمهات حولها يشربون الشاي ويتجاذبون أطراف الأحاديث.

ونهض هاري مارشال وزوجته الى استقبالهما بالترحاب. ثم جلس كال وانطونيا أيضاً حول البركة.

وكان استقبال هاري وزوجته جولييت لهما حاراً كاستقبال طوم وفاني رانكن. وكان هاري في نحو الاربعين من العمر، ولكن جولييت تكبر انطونيا ببضع سنوات فقط. وكان كال أخبر انطونيا أن جولييت هي زوجة هاري الثانية بعد أن طلق زوجته الاولى طلاقاً حبياً وانجب منها ثلاثة أولاد يقضون معظم أيام عطلتهم المدرسية في بيته.

ـ هاري تزوج وهو في العشرين من العمر، حين لم يكن يعرف بعد من المرأة الّا وجهها الجميل وقامتها الهيفاء. وعلى كل حال، كانت زوجته الاولى تكون أسعد حالاً في زواجها أبداً لو أنه بقي كما

كان عندما تزوجته. غير أنه تغيّر ولم تستطع أن تتكيف حسب هذا التغيير الذي طرأ عليه. وسترين حين تتعرفين اليه أنه يميل الى الأبهة والفخفخة. ولكنه رجل طيب القلب. أما زوجته جوليت فلا أدري ماذا سيكون رأيك فيها. وأنا أظن انها لا تختلف كثيراً عن زوجته السابقة، وأهم اختلاف فيما بينهما هو أنها تنفق مال زوجها هاري بحكمة وتعقل.

ولما تعرفت انطونيا على جوليت. أدركت في الحال أن ما يجمعها، بالرغم من تقاربهما في السن، أقل مما يجمع بينها وبين فالي ونكي.

ولم تكتشف انطونيا أن غرفة النوم التي خصصت لها ولكال كانت ذات سرير مزدوج الا عندما صعدت إليها لتبدل ثوبها استعداداً لحضور السهرة.

وكان الخادم أفرغ حقائبها، وعلق ثيابها في الخزانة، ووضع أشياءها الأخرى في أماكنها الخاصة بها. وكان قميص نومها ملقى على حافة السرير اليسرى، وبيجامة كال على الحافة اليمنى.

وفيما هي تتأمل في ذلك، دخل كال الغرفة وقال:

ـ جئت لآتي بقميصي الصوفي. فالطقس أخذ يميل الى البرودة، وأنا وهاري ذاهبان للنزهة سيراً على الاقدام و[illegible] نعود في غضون ساعة من الزمن. ولذلك فعندك الوقت الكافي للاستحمام وتبديل ثيابك. أما أنا فسأستحم قبل النوم... وعليّ أن أخبرك قبل أن أنسى أن جوليت قالت لي وأنا صاعد الى هنا أن في وسعك الاستعانة بأدوات زينتها اذا أعوزك منها شيء.

فقالت انطونيا:

ـ هذا لطف منها... وأظن أن قميصك الصوفي لا بد ان يكون في تلك [illegible]زانة هناك.

ووجد [illegible] قميصه، وفيما هو يلبسه لاحظ السرير المزدوج بشيء من الامتعاض وقال:

ـ كلّما جئت من قبل الى قضاء الليلة هنا كنت أنام في غرفة ذات سريرين، فماذا جرى هذه المرة؟

ورمقها بنظرة طويلة ذات مغزى وقال:

ـ آسف أن أكون ضللتك في هذا الأمر، ولكني لن أطلب تغيير الغرفة. وعلى كل حال، فالغرف كلها مشغولة، لأن الضيوف هنا كثيرون هذه المرة.

فقالت انطونيا:

ـ بالطبع لا يمكنك أن تطلب تغيير الغرفة... فعلينا إذن أن نتدبر أمرنا بالتي هي أحسن.

فوافقها كال على ذلك وخرج من الغرفة وأغلق الباب وراءه بهدوء تاركاً انطونيا في حيرة واضطراب.

وحين فرغت من ارتداء ثيابها وهمت بالخروج من الغرفة رجع كال الى الغرفة واقترح عليها أن تنتظره حتى يغير ثيابه، وهي تشعر بالخيبة لأنه لم يفه بكلمة تعليقاً على ثوبها الجديد الذي لم تلبسه من قبل.

وحين وصلت الى غرفة الاستقبال، حيث كانت مضيفتها مع بعض الضيوف، وجدت أن الغرفة، على فخامتها وما يزين جدرانها من لوحات فنية وما يملأ ارجاءها من أثاث نفيس فاخر، كانت ذات جو اصطناعي. واعتقدت انطونيا أن ذلك عائد الى أن كل شيء في الغرفة جديد، حتى أن اللوحات الفنية نفسها، وهي روائع قديمة شهيرة، أعيد وضعها في أطر جديدة. فلم يكن هنالك أية قطع فنية أثرية تذهب الى أبعد من جيل أو جيلين من الزمان، كما أنه لم يكن في الغرفة شيء شخصي ملقى هنا وهناك عفو الخاطر، كما كانت الحال في بيت فا نى رانكن الذي يفوقه جاذبية وسحراً. وكل ما يستخلصه الناظر الى غرفة الاستقبال تلك في بيت جوليت مارشال أن اصحابها

أخرى؟

وحانت منها التفاتة الى كال فوجدته ينظر إليها هو الآخر، فابتسم لها فبادلته الابتسامة. وكان في ابتسامته تلك مغزى لم يخف عليها.

وبعد العشاء بدأ الرقص، فدعاها كال لتراقصه. وفي هذه المرة لم يشدها الى صدره كما فعل في المرة الفائتة في بيت آل رانكن، كما أنه لم يراقصها الا مرة واحدة تلك الليلة.

وفيما هي ترقص مع مضيفها، قال لها أنه يتعجب كيف أن كال لم يأخذها لمشاهدة ستراتفورد- أون- أفون- حيث شيكسبير، فتذكرت هذا البيت من مسرحية هاملت.

ـ هناك إله يصنع مصائرنا ونحن نصقلها كيفما نريد.

وبغتة خيل إليها أن وجود غرفة بسرير واحد بدل سريرين كان علامة من علامات القدر، لوضع حدّ للمهزلة التي كان عليه زواجها حتى الآن.

وعند الساعة الحادية عشرة تمتمت انطونيا في اذن جوليت:

ـ قضينا أسبوعاً متعباً جداً، فهل لي أن آوي الى فراشي الآن باكراً؟

ـ افعلي ما يروق لك، يا عزيزتي. ويمكنك أن تتأخري في النهوض عند الصباح أيضاً. ففي يوم الآحاد لا نتناول طعام الفطور، بل نسند جوعنا بقليل من القوت عند الظهر. ولكن في غرفتك، اذا لاحظت، ابريق على الكهرباء وشاي وقهوة وكعك.

ـ فكرة ممتازة. . . وسأتبعها في بيتنا!

ـ ليس أتعس من نهوض الضيف باكراً في الصباح والانتظار ساعة أو ساعتين لتناول قدح من الشاي أو القهوة. . . والآن أرجو لك نوماً هانئاً يا انطونيا. أظن ان كال في غرفة البليارد، اذا كنت تريدين ان تخبريه بانك صاعدة الى غرفة النوم.

أثرياء، ولكنهم يفتقرون الى الثقة بذوقهم فآثروا عليه الذوق العام السائد.

وحين جلسوا الى المائدة لم تندهش انطونيا عندما بدأوا تناول الطعام بكأس من الشراب تبعته قطعة كبيرة من اللحم المشوي مع بعض الفاصوليا المسلوقة والبطاطا المقلية، وهي من دون شك مثلجة لا طازجة. وكان يرافق ذلك صحن من الخضار الخالي من الزيت والخل والثوم وما يكسبه نكهة لذيذة وطعماً شهياً.

وكانت انطونيا تجلس بين رجلين، أحدهما كرّس اهتمامه للطعام والآخر انشغل بالحديث مع المرأة الجالسة بعيداً بجانب الرجل الذي على يمينها. وهكذا وجدت انطونيا أن من الصعوبة أن تتفادى النظر الى كال مرة بعد أخرى!

ففي المرة الأولى رأته يصغي الى أحدهم عبر المائدة وهو يتكئ بذراعيه عليها، فلما جاء دوره للكلام أنزل يده اليسرى واخذ يستعين بيده اليمنى في الحديث كعادة الانسان. ولعله اكتسب هذه العادة من أسفاره المتكررة.

وفيما هي تتأمل حركة يده اليمنى تذكرت أن هذه اليد هي التي نزعت عنها منذ ليلتين أعلى ثوبها وحلاها، ثم سمرتها في مكانها من دون أن تنوي على الحراك.

وكان كال وعدها بأنه لن يفعل مرة أخرى، ولكنه لم يعدها بأنه لن يشاركها في فراشها. وكم سيكون عسيراً عليه أن يبرّ بوعده هذا وهما مضطجعان جنباً الى جنب في الظلمة؟ انطونيا ان ذلك سيكون عسيراً حقاً. واذا طالت الحال على ما فكرت هي عليه فلا تستبعد أن يلجأ الى احضان امرأة أخرى تعويضاً عن الحرمان. وهذا أمر لم تكن تطيقه منذ البدء، فكيف الآن بعدما خبرته ووجدت فيه صفات محببة اليها كل الحب. ولكن هل لها الحق ان تلومه إذا أقام علاقة مع امرأة

وكان كال يلعب البليارد مع هاري ورجلين آخرين، حين دخلت انطونيا ووقفت عند الباب أولاً، ثم خطت الى الأمام وقالت لكال:

- أنا ذاهبة إلى الفراش يا كال. وجولييت على علم بذلك.

فأقبل نحوها وقال لها وبريق السخرية في عينيه:

- هل تمانعين اذا كنت لا أصعد معك للنوم؟

- كلا. . . وهل يطول انتهاؤك من هذه اللعبة؟

- إلى نحو منتصف الليل على ما أظن. ولكني سأحاول الا أوقظك حين ادخل الفراش. مساؤك خير يا حبيبتي!

- ومساؤك أيضاً. . . ولكني لا أعتقد أنني سأغفو قبل أن تجيء.

ورمقته بنظرة لم يفته مغزاها. ثم ودعت سائر الضيوف وصعدت السلم الى غرفتها وهي تتذكر كلمة التحبب التي يخاطبها بها أمام الناس ويكتمها عنها حين يكونان وحدهما معاً، فأحسّت بشعور هنيء.

وفي الفراش حاولت أن تقرأ، ولكنها لم تستطع التركيز لأنها انصرفت الى التفكير في عودة كال واضطجاعه الى جانبها في الفراش، وتساءلت عما ستكون عليه الحال. ومرّ الوقت ببطء كأنه دهر، قبل أن ينتصف الليل.

ولم يكن مغزى رغبتها في الذهاب باكراً الى الفراش ليخفى على كال وهو رجل حاد الذكاء، وخصوصاً في مثل هذه الأمور.

ولما سئمت المطالعة، طوت الكتاب وراحت تراقب عقارب الساعة.

ولما انقضى منتصف الليل ولم يحضر، تساءلت اذا كان يتعمد التأخر انتقاماً لما أنزلت به من مهانة وخيبة أمل منذ زواجها الى الآن.

وازداد فروغ صبرها، حتى اذا جاوزت الساعة منتصف الليل بنصف ساعة، بدأ مزاجها يتغيّر من رغبة في المصالحة الى الشعور بالحيرة البالغة حد الغضب.

وغلبها النعاس حيناً من الزمن، ثم استيقظت فجأة ونظرت الى عقارب الساعة، فاذا بها تشير الى الدقيقة العاشرة بعد الواحدة.

فاستولى عليها الغيظ واطفأت النور واضطجعت بمزيج من الخيبة والارتياح وهي حائرة في تفسير قصده من التأخر في المجيء: هل هو عن جهل أم عن تجاهل؟

وحين استيقظت للمرة الثانية لم تستطع أن تتبين الوقت. فقد تكون قضت في النوم عشر دقائق أو ساعات. . . وتساءلت أيكون رأسه الآن هناك على المخدة قرب مخدتها، وجسمه مضطجعاً في الفراش على قيد شعره من جسمها؟ وتوقفت عن التنفس وأصغت بكامل قواها السمعية لربما يبدر منه ما يدل على وجوده، ولكن عبثاً.

وفيما هي كذلك فتح باب الغرفة وأغلق بهدوء، ثم فتح باب الحمام وأغلق أيضاً. وكان الباب محكماً، فلو كانت نائمة لما سمعت صوت الماء في حوض الحمام.

واصطنعت انطونيا من طريقة استلقائها في الفراش، حتى اذا ما دخله وجد فيه متسعاً. وكان عليها أن لا تبدي حراكاً الى أن يغفو أحدهما.

وبدا لها أنه أخذ وقتاً طويلاً في الاستعداد للنوم. وأخيراً انفتح باب الحمام ولكنه لم ينغلق. وخيل إليها أنه ترك غرفة الحمام مضاءة والباب مفتوحاً ليرى طريقه الى الفراش ويلبس بيجامته.

وكان الفراش جامداً بحيث كان يستطيع أن يدخله من دون ان يثير أية حركة تؤدي إلى ايقاظها.

ثم ساد الصمت طويلاً، حتى حسبت انطونيا قبل أن يغلبها النعاس انه صمت لن ينتهي.

وكانت الساعة بلغت التاسعة صباحاً حين أفاقت. وكانت في

أثناء الليل زحلت الى وسط الفراش، ولما فتحت جفنيها وجدت أنها وحيدة. ولم يكن كال في غرفة النوم ولا في الحمام. وكان الباب مشرعاً، والجانب المحجوب من الغرفة ينعكس في المرآة الملصقة على الجدار.

وغطت انطونيا وتثاءبت وهي تتساءل أين ذهب وهل كان عليها أن تنهض من الفراش في الحال وتلبس ثيابها استعداداً لعودته، هذا إذا كان سيعود ثم أنها قد لا تراه الا عند تناول طعام الغداء، وهذا ما رجحته. فأغمضت جفنيها واستسلمت لغفوة خفيفة، تعويضاً عما فاتها أثناء الليل. ولم تستفق الا على صوت أدوات مطبخية، فلما فتحت عينيها رأت كال يجيء أبريقاً من القهوة الصباحية.

فتبادلا تحية الصباح، ثم قال لها:

- خرجت للنزهة، هل ترغبين في فنجان من القهوة؟

- نعم، شكراً.

وتناولت رداءها الحريري المطلي وارتدته فوق ثوب نومها الرقيق قبل ان تخرج من الفراش.

وحين خرجت من الحمام، قال لها:

- هل تتناولين القهوة في الفراش، انك تخافين ان أتناولها انا أيضاً في الفراش الى جانبك؟

وكان في الغرفة كرسيان مريحان قرب الشباك، فتجاهلت انطونيا ملاحظته التهكمية وجلست في إحدى الكرسيين وقالت له:

- أظن أن الجلوس هنا أهنأ وأريح الآن من الجلوس في الفراش!

وفيما هما يشربان القهوة ويأكلان الكعك، بادرها بالقول:

- سنغادر لندن في نحو الساعة الثالثة. أخبرت هاري وجوليت أن لدي مواعيد في روتردام غداً صباحاً. وهذا صحيح، عدا أن موعدي الأول هو عند الظهر... وسأعود من هناك يوم الخميس.

فإذا شعرت بالضجر، فلك أن تتصلي بفاني، لعلها تدعوك الى تناول الطعام معها... وكنت أحب أن اصطحبك في هذه الرحلة. الا إنني سأكون مشغولاً جداً، بحيث لا يكون لي متسع من الوقت للعناية بك، ولا أظن أنك ستجدين لذة ومتعة في التجول بمفردك في مدن غريبة!

وفي اليوم الثاني من غيابه، جاءت لورا الى زيارتها وأصرت أن تصطحبها الى السهرة في تلك الليلة. فترددت انطونيا في القبول، ولكن لورا وعدتها بأنها ستعرفها الى أناس يروق لها معشرهم. وقالت لها:

- يجب الا تجعلي أخي محور عالمك، فهو لا يسر إذا لم يكن عندك اهتمامات وصداقات خاصة بك. ومن الخير لك وله أن يكون في حقيبتك أخبار تنقلينها إليه عند رجوعه، لا أن تنتظري منه دائماً أن يأتيك بأخباره وما جرى له.

واقتنعت انطونيا بصحة ما قالته لها لورا، ولكن حين علمت في الطريق أن السهرة لم تكن في لندن، وإنما في مكان يبعد عنها نحو أربعين ميلاً، ساورتها الشكوك غير أنها لم تستطع التراجع لأنها كانت قطعت جانباً من المسافة برفقة لورا في سيارتها.

وكانت لورا تقود السيارة بسرعة فائقة، ولذلك لم تتمتع انطونيا بالرحلة، مع أن الليلة كانت ليلة صيف والطبيعة في أوج جمالها. وكانت لورا ترتدي سروالاً أسود، وقميصاً قرمزياً من الحرير الشفاف. وأساورها الكثيرة التي تحيط بمعصمها النحيل ترن وتجلجل كلما حركت يدها اليسرى لتمسك السيكارة باليد اليمنى. وخشيت انطونيا أن تمنعها كثرة التدخين وفضلاً عن كعب حذائها العالي، من احكام السيطرة على مقود السيارة وهي تسير بتلك السرعة الجنونية.

أما انطونيا فكانت ترتدي فستاناً من الكتان الأخضر الفاتح

اللون، لا يرتفع عن كاحليها الا قليلاً ولا ينخفض عند الصدر الا كما تقتضي الحشمة. ويطوق خصرها زنار أخضر غامق اللون ينسجم مع حذائها. وهكذا بدت في غاية البساطة واللياقة والتهذيب.

وحالما وصلنا الى مكان السهرة، أدركت أنطونيا أنها لم تكن في الوسط الذي يليق بها على الاطلاق، وان هؤلاء الناس لم يكونوا من النوع الذي يرضي لها كال بمعاشرتهم. واذا كان أحد منهم يثير شيئاً من الاهتمام، فلأنه يعمل في التلفزيون أو السينما. غير أن النساء أعدن الى ذاكرة انطونيا تلك الفتاة الشقراء التي كانت برفقة صديق كال الأميركي الذي التقياه عند خروجهما من الفندق في ليلة سابقة.

وعرفتها لورا الى أحد الرجال، ويدعى باري. وكان أصلع الرأس من الأمام، إلّا أنه ترك شعره يطول حتى بلغ أعلى كتفيه. فما أن تعرفت إليه حتى ودعته ومالت عنه. وكان جميع الحاضرين يحيونها ويهتفون لها مرحبين، فهم يعرفونها معرفة جيدة.

وكانت السهرة في باحة تحيط ببركة للسباحة. وتقدم باري نحو انطونيا وقادها الى مائدة الجلوس والشراب، ثم أخذ يحدثها باسهاب وشغف، وكأنه لم يطمح إلى مبادلته الحديث. وكان وهو يحدثها يتأمل قامتها وفمها، حتى ضاق صدرها وحارت كيف تتخلص منه. وحين أعوزتها الوسيلة قالت له:

ـ هل تعرف جغرافية هذا المنزل؟ أرجوك أن تكون دليلي!

فاندهش باري ولم يفهم ما ترمي إليه، فافهمته بقولها أنها تريد أن تعرف مكان الحمام!

فلمس باري بساعد إحدى النساء الواقفات على مقربة منه وقال لها:

ـ هاي جاني، هل تعرفين جغرافية هذا المنزل؟ انطونيا تسأل عن الحمام!

فأجابت جاني بابتسامة:

ـ بكل سرور. تعالي معي يا طوني!

فقالت لها انطونيا وهما يتعدان نحو داخل المنزل:

ـ اسمي انطونيا لا طوني!

فقالت لها جاني:

ـ أنا اسمي جانين ولكن باري يدعوني جاني. فهو يحب اختصار الاسماء... هل جئت الى هنا برفقته؟

ـ كلا، جئت مع لورا كارتر شقيقة زوجي... هل تعرفينها؟

ـ لا أظن اني أعرفها.

ووجدت انطونيا أن داخل المنزل كان في غاية الفخامة. وكانت تعلم من قبل أنه يخص رودي لانكستر بطل السباق الشهير الذي شاهدته مراراً في التلفزيون، ولكنها لم تحظ بمعرفته وجهاً الى وجه.

وبعد أن أوصلتها جانين الى الحمام، شكرتها انطونيا وقالت لها:

ـ أرجوك لا تنتظريني. بامكاني العودة وحدي.

وأغلقت انطونيا باب الحمام واخذت تفكر ماذا تعمل للخلاص من تلك السهرة. كان المنزل بعيداً، ومن المستحيل الحصول على تاكسي تنقلها راجعة الى البيت ولم تعتقد أن لورا تحسب أن من واجبها الاهتمام بالأمر، واذا فعلت فستغضب وتقود السيارة في طريق العودة بسرعة تزيد عن السرعة التي قادت بها السيارة في طريق المجيء. ولذلك رأت أن من الخير لها ان تحتمل البقاء لساعات أخرى، ثم تطلب من لورا ان تكتفي بهذا القدر من التمتع بالسهرة.

وتساءلت اذا كان في ذلك المنزل الضخم غرفة تستطيع أن تلجأ إليها لقضاء الوقت في المطالعة. فاذا فعلت، فلن يلاحظ غيابها غير لورا وباري. وهذان على ما اعتقدت لن يحاولا البحث عنها.

وأخذت تتمشى في المنزل، ولشد ما كان سرورها عظيماً حين فتحت احدى الغرف الخالية في الطبقة السفلى فوجدتها صالحة للجلوس والاستراحة. فدخلتها واغلقت الباب وراءها بهدوء وسارت نحو رفوف الكتب، وكان عليها كدسة من أشهر المجلات الصادرة حديثاً، فتناولت إحدى هذه المجلات وراحت تتصفحها.

وبعد مرور نحو نصف ساعة من الزمن، فوجئت بالباب ينفتح ويدخل منه رجل عرفت في الحال انه صاحب الدعوة. فخاطبها قائلا:

- مرحباً بك. من أنت؟

وكانت انطونيا نزعت حذاءها وتربعت على قدميها، فلما رأته حاولت النهوض، فبادرها الرجل قائلا:

- لا، لا تتحركي.

ولكنها لم تسمح له، بل نهضت وهو مقبل نحوها ولبست حذاءها وقالت له:

- أنا انطونيا برنارد، يا سيد لانكستر. يجب أن أعتذر لك للمجيء الى هنا من دون استئذان ولكن الا ترى...

فقاطعها قائلا:

- السهرة تضجرك. هذا لا يدهشني. فهي تضجرني أيضاً. من جاء بك الى هنا؟

- لورا... لورا كارتر.

- أوه، لورا؟

قال ذلك وهو يبدي علامات التعجب. كان بخلاف كال متوسط القامة، ممشوق القوام، في العشرينات من عمره، بحيث ظهرت ثيابه الحديثة الزي أكثر لياقة عليه مما على الرجل الآخر باري وقال لها:

- إذن أنت صديقة للورا. ما كان هذا يخطر ببالي لو لم تخبريني. فلا يبدو لي أن هنالك ما يجمع بينكما.

- أخوها يجمع بيننا.

- هل هو صديقك؟

- كلا، زوجي.

فرفع السيد لانكستر حاجبيه، وكانا سودا كشعر رأسه، مما جعله يبدو كأنه من الاسبان، وقال لها:

- ماذا يشغله عنك، كي تذهبي برفقة لورا الى حضور الحفلات الساهرة؟

- هو مسافر الى خارج البلاد الآن، وهذه أول سهرة أحضرها برفقة لورا وستكون الأخيرة... لا أقصد إهانة أحد، ولكن مثل هذه السهرات لا تروق لي.

- ولا تروق لي أنا أيضاً. وإني أتساءل أحياناً من أين يأتي هذا الصنف من الناس، ولماذا أتحملهم؟ هل تناولت طعام العشاء؟

- كلا. لست جائعة. شكراً.

- هذا لا يجوز. يجب أن تسدي جوعك بشيء من الطعام.

ونهض ليدعو الخادم، ثم قال:

- أين تسكنين؟ في لندن؟

- نعم.

- دعينا نأكل بعض الطعام، ثم أوصلك بسيارتي الى بيتك- أو إلى أي مكان تشائين.

- وماذا عن سائر ضيوفك؟

- هم هنا للأكل والشرب، لا للتمتع بصحبتي. ولذلك فهم لا يفتقدونني على الاطلاق!

وهنا دخل الغرفة رجل قصير القامة، فأمره رودي بان يأتي إليه

بزجاجة من الشراب. فأحنى الرجل رأسه وغادر الغرفة..

وقال لها رودي:

- لو كنت زوجتي لاصطحبتك دائماً في سفري... فأنت من الجمال بحيث يجب ألاّ تتركي وحدك حتى لبضعة أيام.

- هل أنت متزوج، يا سيد لانكستر؟

- ناديني رودي، أرجوك... كلا، لست متزوجاً ولن أتزوج إلاّ حين أتقاعد عن العمل وهذا يأخذ وقتاً طويلاً... نساء الكثيرين من سائقي سيارات السباق يهلكن من شدة التوتر والقلق... وأنا الآن على علاقات مؤقتة مع النساء... وأنت، هل تحبين زوجك؟

فلما ترددت في الجواب قال لها:

- كلا، وإلاّ لما كنت هنا. قد لا تكونين في طلب مغامرة كمعظم هؤلاء النساء، ولكنك ولا شك تطلبين شيئاً ما، فهل بإمكاني توفيره لك؟

فقفزت انطونيا واقفة على قدميها قائلة:

- انت مخطئ، يا سيد لانكستر. أنا لا أطلب شيئاً من هذا. جئت الى هنا لأن لورا اقنعتني ان هذه السهرة هي من النوع الذي يصح لامرأة متزوجة أن تحضرها من دون زوجها... ولم يمض بعد على زواجي سوى شهرين، والنساء عادة لا يتعبن من أزواجهن بمثل هذه السرعة، حتى في العالم الذي تعيش فيه!

- هذا يتوقف على ما للزوج من العمر... فأنا أعرف زيجات ضجرت منها الزوجة حتى قبل حفلة عرسها وتمنت أن تصبح أرملة ثرية...

- ربما، ولكن زواجي غير ذلك. فزوجي ليس متقدماً في السن

وهنا دخل الخادم وهو يقود عجلة عليها مختلف أنواع الطعام والشراب، فأدركت انطونيا أنها كانت جائعة من دون ان تحس

وبعدما خرج الخادم قال رودي:

- لا تظني بي سوءاً. قفلت الباب حتى لا يزعجنا أحد يبحث عن خلوة مع رفيقه، مع أن الوقت لا يزال مبكراً.

قال ذلك ووضع في الصحن شريحة من اللحم المشوي وبضعة أنواع من سلطة الخضار، ثم أخذ فوطة وفرشها على ركبتي انطونيا قبل أن يناولها الصحن.

وكان في هذه الأثناء علم منها أنها نشأت في اسبانيا، فقال لها:

- اعرف القارة الأوروبية جيداً، ولكني لم أزر من اسبانيا سوى برشلونة وبنيدورم.

- بنيدورم لا تمثل اسبانيا... كانت مدينة جميلة قبل أن تبنى فيها تلك الفنادق الكثيرة فتشوهها وتفسد روعتها.

- كلامك كلام من اعتاد على السكن في الأماكن الممتعة. فلو كنت نشأت في مدينة صناعية بانكلترا أو المانيا، لوجدت أن قضاء أسبوعين تحت شمس بنيدورم أشبه ما يكون بالجنة!

- لعلك مصيب في ذلك... من أية مدينة أنت يا سيد لانكستر؟

- اذا توقفت عن مناداتي بسيد فإنني أسرد عليك سيرة حياتي!

وقال لها:

- سارافقك الآن إلى لندن... لا تقلقي من أجل لورا فهي بالغة الرشد وتعي ما تفعل.

وكانت العودة إلى لندن هادئة رائعة كما وعدها رودي. فهو احتفظ باعتداله في السرعة وبسيطرته على السيارة. ولم يتحدثا طويلاً وهما في الطريق، ولكن حين اجتازا أحد المراقص قال لها:

- الليل في أوله، فما رأيك ان نقضي هنا ساعة للرقص؟

فاعتذرت بشدة وقالت:

- أنا متأكدة أن زوجي لا يوافق على ذلك.

- لا اظن انه يوافق... ولكن الا توافقين أنت؟
فترددت انطونيا قليلا ثم أجابت:
- لو التقيتك قبل أن أتزوج، لسرني أن أراقصك، يا رودي. اما الآن فأنا اخص كال.
- هل ستخبرينه أنني عدت بك الى البيت؟
- نعم، ولم لا؟ وسيكون لك من الشاكرين.
وحين وصلا الى البيت، أطفأ المحرك، ثم نزل وسار الى الباب وفتحه لها قائلا:
- ساوصلك الى الداخل.
فسألته قائلة:
- كم الساعة الآن؟
فأجاب:
- بعد منتصف الليل بقليل!
واخرجت مفتاح البيت من حقيبة يدها، فتناوله منها وأداره في القفل. ثم توقف وانتزع منها عناقاً، قبل أن تعي ماذا يفعل.
وهنا انفتح الباب وظهر كال بنفسه، فتراجعت انطونيا من شدة الدهشة وصاحت:
- كال، هل عدت؟
فسألها قائلا بعنف:
- اين كنت في مثل هذا الوقت، أخبريني!
- كنت في سهرة... هذا رودي لانكستر!
وللحظة خيل إليها أن زوجها سينهال عليها بضربة قاسية. وهذا ما خيل لرودي ايضاً وهو يتراجع مودعاً.
فبادره كال قائلا بلهجة قاسية:
- قف! اريد أن أكلمك، يا لانكستر... إياك ان تدعني أشاهدك برفقة زوجتي مرة ثانية، والاّ ندمت كل الندم!
فاحتجت انطونيا على كلامه وقالت:
- كان لطيفاً كل اللطف معي... انقذني من ورطة وقعت فيها ولا يحق لك أن تهدده هكذا!
فأجابها كال بعصبية:
- ليكن معلوماً لديك أني أهدد اي انسان يجرؤ على لمسك. أنت زوجتي، أم أنك نسيت هذه الحقيقة؟
وهنا تدخل رودي قائلا:
- أنت مخطىء، يا سيد برنارد. زوجتك أخبرتني منذ البدء انها لا تهتم بأحد سواك. فلو لم تفتح الباب أنت بنفسك وتراني أودعها، لانهالت هي عليّ باللوم على تصرفي... لك ملء الحق ان تغضب على هذا الغضب، ولكن أرجوك أن لا تلومها على أمر لم تستطع ان تمنع حدوثه... وعليك قبل كل شيء أن تسألها عن سبب تغيبها قبل أن تسارع الى الاستنتاج الخاطىء.
وسار رودي عائداً الى حيث توقفت سيارته. وبعد أن تأملته انطونيا قليلاً، أسرعت الى الداخل وهمت ان تدخل الى غرفة النوم، ولكن كال أقبل عليها وامسكها قائلا:
- انقذ لانكستر نفسه بخبث ودهاء... وأنا أريد منك أنت تفسيراً أكثر اقناعاً من تفسيره. أين كنت الليلة، ولماذا لم تتركي لي رقم التلفون لأتصل بك حين عودتي؟
وكان كال يشد على زندها بقوة وهي تقول:
- لم يخطر لي بأنك قد تريد مخابرتي بالتلفون... دعتني أختك الى مرافقتها، ولكنني أصبت هناك بصداع، فتلطف رودي وأوصلني الى البيت...
- بالطبع، ولم تبخلي عليه بالمكافأة! ولو لم أظهر في الباب، لكنت

على الأرجح دعوته الى الدخول. . .

- أنت تعلم جيداً أنني لا أفعل ذلك.

- وكيف لي أن أعلم؟

وشدها إليه فجأة واحتضنها بين ذراعيه القويتين، كأنه قصد أن يجعلها تشعر بتفوقه عليها، وكم هي عاجزة عن مقاومته اذا أراد أن يقسو عليها.

- كما كان بوسعك أن تعانقيه عناق الوداع هذه الليلة، فكذلك بوسعك أن تعانقيني أنا أيضاً.

وكانت هذه هي المرة الثانية التي يعانقها فيها، بعد تلك التي فقد فيها السيطرة على نفسه. ولو لم تكن بعد متأثرة من تصرفه نحوها، لطوقته بذراعيها، واستسلمت إليه. وأفلتها كال قائلا لها:

- سنتابع هذا الحديث غداً صباحاً. . .

قال ذلك وتوارى في الممر الخارجي.

وكان كال هو الذي حمل إليها طعام الفطور في الصباح وبادرها قائلا:

- أين أخذتك لورا في الليلة الماضية؟

- الى سهرة ظننتها في لندن، فاذا بها في بيت رودي بالريف!

- اريد أن اعتذر لك على سوء الفهم الذي وقعت فيه الليلة الماضية. حين رجعت الى البيت متوقعاً أن أراك هنا، قال لي ماركوس أنك ذهبت مع لورا الى مكان ما. فاستولت علي الهواجس، لأن الوسط الذي تعاشره لورا يضم رجالاً لا يمكنك أن تدفعي اذاهم عنك اذا فقدوا السيطرة على انفسهم.

ووقف عند طرف السرير يتأملها، وكان قميص نومها من الكتان المعرق الذي لا شفافية له. ثم قال لها:

- اذكر أنني نبهتك أن لورا ليست من طينتك. ولم أعتقد، آنذاك،

أنك قد تذهبين الى حد التعامل معها، وإلا لكنت حذرتك وأخبرتك بالتفصيل عن معاشرتها لقوم لا خير فيهم. واذا كان رودي لانكستر أعقل قليلاً من بعضهم، فهو لا يتورع عن تقبيل زوجة رجل آخر. . .

ورأت انطونيا بريق الغضب في عينيه الرماديتين فقالت:

- أخبرني ان لورا تعربد كثيراً، فهل بامكاننا ان نفعل شيئاً من اجلها؟

فأجابها قائلا:

- منذ ان كانت في السادسة عشرة من العمر وأنا انقذها من المشاكل التي تسببها لنفسها. فاذا لم تتعلم بعد من تجاربها، فلن تتعلم من مواعظي وارشاداتي ولا من تنبيهاتك أنت ونصائحك. فبعض الناس وجدوا لايقاع الضرر بحياتهم، ولورا واحدة منهم. هذا مؤسف، ولكن لا سبيل الى اصلاحه.

قال ذلك واضاف:

- هل حقاً أصابك صداع ليلة امس؟ أم انك وجدت نفسك في وضع لا يمكنك ان تتحمليه؟

فأجابت:

- لم تكن السهرة من النوع الذي توقعت ان يكون.

- لا جدوى من الشفقة على لورا، فهي لم تكن لتهب الى غيرتك لو أصابك مكروه. وأغلب الظن ان هدفها من اصطحابك الى السهرة هو ان تسبب لي الانزعاج. وعلى كل حال، فإياك أن ترافقيها من الآن فصاعداً أثناء غيابي، من دون ان تتركي لي عنوان المكان التي توجدين فيه.

- سأفعل ذلك. . . أنا آسفة لأنني جعلتك تقلق عليّ!

ونظر كال الى ساعة يده وقال:

- يجب أن أذهب الآن، وسأراك الليلة!
وفي اليوم التالي، تلفنت لورا. وحين سمعت صوت انطونيا بادرتها بالقول:
- يا لك من امرأة ماهرة! أبمثل تلك السرعة استطعت ان تفوزي برودي لنفسك؟ وماذا سيقول أخي اذا اكتشف الأمر؟ ولكن لا تخافي، فهو لن يسمع الخبر مني!
فقالت لها انطونيا:
- أخوك يعرف ما جرى. عاد من رحلته بأسرع مما توقع، وكان في البيت حين أوصلني رودي.
- يا إلهي! هل ثار غضبه؟
- انزعج لأنني لم أترك عنوان المكان الذي ذهبت إليه.
- انزعج فقط؟ أنا أعرف الناس بأخي، فهو لا ينزعج فقط اذا علم بأن أحداً أوصلك الى البيت في أواخر الليل، بل يجن جنونه.. أين أخذك رودي تلك الليلة؟
- لم نذهب الى أي مكان. جئنا رأساً الى البيت. هل تلقيت رسالتي إليك بأني غادرت السهرة؟
- نعم، ولكني لم أحملها على محمل الجد، وانما استنتجت منها أنك ذهبت معه الى مكان ما لقضاء الليلة في المدينة... وكم شق ذلك على كاترين!
- ومن هي كاترين هذه؟
- رفيقة رودي... أو رفيقته السابقة الآن... هل تعرفت عليها؟ فهي شقراء، وكانت ترتدي ثوباً أخضر اللون...
- كلا، لم أتعرف عليها، ولا مبرر لانشغال بالها. السيد لانكستر أظهر انه مضيف يهتم بضيوفه عندما تطوع لمرافقتي الى البيت لصداع أصابني...

- هل شعرت حقاً بصداع؟ يؤسفني أن أسمع ذلك. أيكون انك حامل منذ الآن؟ هذا غير ممكن!
- لست حاملاً، وانما أصابني صداع لا أكثر ولا أقل. اعذريني اذ تركتك ترجعين الى البيت وحدك.
- لم أرجع الى البيت، بل قضيت الليل هناك مع آخرين، ثم تناولنا طعام الفطور... فأنا حين أسهر خارج البيت أستغل المناسبة الى أقصى حد.
وأغلقت لورا خط التلفون تاركة انطونيا تفكر في الطبيعة البشرية المريضة التي حملت لورا على الظن أن زوجة أخيها، بعد أسابيع قليلة من زواجها، قد تخون زوجها حالما يدير ظهره. وتساءلت اذا كان تصرف لورا عائداً الى أنها تعرف أن أخاها يخونها مع امرأة أخرى، ولذلك يصبح من حقها أن تكون لها الحرية نفسها!
وبعد عشرة أيام عزم كال على السفر مرة أخرى، فقالت له انطونيا:
- هل لي أن أرافقك هذه المرة؟
- لو كنت سأنزل في فندق لتمنيت أن ترافقيني. ولكنني في أول ليلتين سأنزل عند أحد الاصدقاء. ولذلك لا أريد أن يتكرر ما جرى لنا في بيت آل مارشال. فقد لا أستطيع السيطرة على نفسي كما فعلت آنذاك. فمشاركتك الغرفة الواحدة يهون بالنسبة الى مشاركتك الفراش الواحد!
وفي الليلة الثانية بعد سفره، تناولت انطونيا طعام العشاء في بيت رانكن. كان طوم غائباً عن البيت، وبعد العشاء تفرق الاولاد تاركين والدتهم وضيفتها في غرفة الجلوس. وقالت فاني لانطونيا:
- هل تسمحين لي أن أشتغل بتطريز هذه القطعة من القماش ونحن نتحدث؟ هل أنت من هواة التطريز يا انطو

- كلا، ولكنني احب ان اكون. وكم اعجبت بالمخدات الجميلة التي صنعتها والتي رأيتها للمرة الأولى في زيارتنا السابقة. فهل تظنين ان بامكاني أن أصنع مثلها؟

ولماذا لا، وبسهولة. خصوصاً اذا وضعت قطعة القماش ضمن اطار. غير أني لا أستعمل الاطار عندما أكون في السيارة أو في زيارة لاحدى الصديقات. وكثيراً ما أطرز وأنا في المطار أنتظر اقلاع الطائرة... هل تريدين أن تجربي؟ ساعطيك بكل سرور قطعة قماش وابرة وكل ما يلزمك في التطريز...

وصعدت مع انطونيا الى غرفة الخياطة وأرتها ما كانت تصنعه لأولادها من ملابس مطرزة أو مشغولة بخيطان الصوف. وقالت لها:

- كان عليّ ان أخيط ثياباً لي في مطلع زواجنا، لأننا لم نكن نملك المال الكافي... أما الآن فأقوم بذلك لمجرد المتعة... ثم انني لا أحب الثياب الجاهزة لأن معظمها في هذه الأيام مصنوع من مادة اصطناعية لا طبيعية.

وقبل أن ترجع انطونيا الى البيت في تلك الليلة كانت قد طرزت جانباً من قطعة قماش كغطاء لمخدة. فوجدت العمل ممتعاً جداً، حتى انها حين دخلت فراشها قضت ساعة على الأقل في التطريز، ثم استأنفته في صباح اليوم التالي.

وبعد ذلك بقيت وحدها في البيت، اذ ان الخادمين ماركوس وزوجته ذهبا لقضاء بقية النهار خارج البيت. وعندما اقترب المساء، رن جرس الباب. واندهشت انطونيا حين فتحت الباب ووجدت فاني على العتبة فصاحت:

- فاني! أهلاً، وسهلاً بك. ادخلي. ماذا جاء بك الى هنا؟ انشغلت بالعمل في تطريز المخدة طيلة النهار...

قالت ذلك وقادت فاني الى غرفة الجلوس. غير أنها سرعان ما لاحظت أن فاني لم تكن هادئة البال كما كانت في الليلة الماضية، فقالت لها متسائلة:

- هل هنالك ما يشغل بالك؟ الاولاد...

فقاطعتها فاني قائلة:

- كلا، كلا. الاولاد بخير. ولكني احمل اليك خبراً غير سار يا عزيزتي. طائرة كال خطفت وهي في الفضاء!

- خطفت؟ كيف عرفت؟

- الخبر لم يذع بعد، بل أرسل بالتلكس الى مكتب كال. في لندن، ومن هناك نقل الينا بالتلفون. وكان كال ترك تعليمات بأن أي مكروه قد يصيبه يجب ان نتلقى خبره، انا وطوم، أولاً لكي يكون أحدنا معك حين ننقله إليك.

وطوقتها فاني بذراعيها كما لو كانت ابنتها وقالت:

- سابقى بالقرب منك الى ان نسمع بأن كل شيء انتهى الى نتيجة حسنة وان كال في طريقه الى هنا. لا تخافي. كل شيء سيكون على ما يرام... أنا متأكدة من ذلك. كال له تسع أرواح!

وانشدّت انطونيا الى فاني قليلاً، ثم سيطرت على نفسها وسألت فاني قائلة:

- من خطف الطائرة، هل تعرفين؟

- كلا، لا أحد يعرف التفاصيل بعد... هل ترغبين في كوب من الشراب؟

وسارت فاني الى المطبخ، ثم اضافت قائلة:

- لنفتح التلفزيون الآن، لأن بين ركاب الطائرة، على ما يبدو، بعض الاشخاص البارزين، مما يجعل القائمين عليه يوردون أخبار خطف الطائرة تباعاً حال ورودها.

- حسبت ان المراقبة أصبحت شديدة في المطارات هذه الأيام،

للحدّ من محاولات الخطف...

فأجابت فاني وهي تعود حاملة كوبي الشراب:

ـ وأنا كذلك كفانا ارهاب لا جدوى منه سوى اقلاق راحة المئات، بل الألوف من الناس الآمنين!

ـ نعم، خطف الطائرات مثل القرصنة في الأيام الماضية. واذا كان قضي على القرصنة فلأن القرصان كان يعدم حالما يقبض عليه! هكذا سمعت كال يقول مرة.

ـ أوافقه على هذا الكلام، مع أني ضد الحكم بالاعدام على وجه العموم. فالذين يقتلون الآخرين من دون مبرر ولا تمييز يجب أن يعاملوا كالكلاب المسعورة.

ـ أخشى ان يفقد كال صوابه اذا مسّ شعوره أحد الخاطفين...

ـ نعم، كال شديد الغضب، ولكنه على ما أعرف يتحلى بالقدرة على ضبط النفس. فلا أظنه يتصرف بحمق يا عزيزتي. فهو رجل يشعر بالمسؤولية تجاه الآخرين على الأقل، فلا يعرضهم للخطر بتصرفاته... والآن اخبريني كيف تعرفت عليه؟

ـ جاء الى شراء منزل والدي الريفي.

ـ هل كان حبك له حباً من أول نظرة؟

ولما ترددت انطونيا في الجواب استدركت فاني قائلة:

ـ هذا سؤال تافه، اذ كيف لأحد أن يقع في حب غريب؟ فالحب الحقيقي يأخذ وقتاً طويلاً على ما أظن!

وكان على فاني وانطونيا أن تنتظرا اذاعة نشرة الأخبار المسائية الاولى فكان كل ما عرفتاه هو أن الطائرة لا تزال معلقة في الفضاء لأن مطارين حتى الآن رفضا السماح لها بالهبوط. ولم يكشف النقاب بعد عن هوية الخاطفين على نحو مؤكد.

وهنا دخل طوم وأعلن أن على انطونيا أن تقضي تلك الليلة مع فاني ومعه في بيتها. فقالت انطونيا:

ـ هذا لطف منك يا طوم، ولكنني أفضل أن أبقى هنا. فالطائرة لا بد ان تهبط قريباً لحاجتها الى الوقود، واذا انغلب الخاطفون فأول ما سيفعله كال هو الاتصال بي. ثم ان روشيو لا بد أن تقلق كثيراً على كال حين تعلم بالخبر، فتحتاج حينئذ اليّ للتخفيف عنها وفوق هذا كله، فمن الخير الا نزعج الاولاد بحادث كهذا. ولكن ليت فاني تبقى معي هذه الليلة يا طوم!

فأجابها طوم:

ـ بكل تأكيد يا عزيزتي. اهنئك على شجاعتك في مواجهة هذا الحادث المؤسف!

فقالت وهي تكاد تختنق بالدموع:

ـ أنا نصف انكليزية كما تعلم، ودمي كما يقال بارد.

ودعت طوم الى مشاركتهما في تناول طعام العشاء. فقبل الدعوة. وبعد أن سمعوا نشرة الأخبار المسائية الثانية التي لم تحتو على معلومات اضافية عن مصير الطائرة، ودعهما طوم عائداً الى بيته.

ورجع ماركوس وزوجته روشيو الى البيت في ساعة متأخرة من الليل، وكانا قد سمعا بخبر خطف الطائرة ولكنهما لم يعلما بأن كال في جملة المخطوفين. ولما علمت روشيو بالأمر عمدت، كما توقعت انطونيا، الى البكاء والنحيب، مما حمل فاني على تأنيبها. ذلك أن اظهار عواطف الحزن، على هذا النحو، ليس من تقاليد الانكليز. حتى أن انطونيا وهي نصف انكليزية، تعلمت منذ الصغر أن تواجه المصائب بشجاعة وضبط نفس. فما كان منها الا أن كلمت روشيو بالاسبانية لتخفف عنها وتهون عليها، ثم اشارت عليها أن تأوي الى فراشها، ففي الصباح لا بد أن يطلق سراح المخطوفين وينتهي الأمر.

وبقيت انطونيا وفاني جالستين الى أن اغلقت محطة التلفزيون. وكانتا، طوال هذه المدة تطرزان وتتجاذبان أطراف الأحاديث، مما ساعدهما على الصبر والسلوان.

وكانت فاني مهتمة بمعرفة الفرق بين الحياة في اسبانيا والحياة في انكلترا، فهي لم تكن تعرف اسبانيا الا من خلال رحلتين سياحيتين قامت بهما الى تلك البلاد.

كانت انطونيا تجيب على اسئلتها من دون أن تغيب من مخيلتها صورة كال وهو جالس في طائرة تسيطر عليها عصابة من الارهابيين الاشرار. وشرد بها الخيال الى رؤية الطائرة وقد هبطت هبوطاً اضطرارياً في مكان ما، فاذا ببعض المخطوفين قضوا نحبهم والبعض الآخر في حالة يرثى لها، ومن بين هؤلاء كال نفسه. وهنا تأوهت آهة صادرة من اعماق قلبها، مما استرعى انتباه فاني فقالت لها:

- ما بالك يا عزيزتي؟

- لا شيء على الاطلاق. كنت غارقة في التفكير...

فاشارت عليها فاني بأن تتناول دواء يعينها على النوم، فأجابتها ألا دواء عندها من هذا النوع، وهي لم تقتنه في حياتها.

- وأنا لا أقتنيه أيضاً، ولكنني أعتقد أنه مفيد في مثل هذا الظرف... هل تعرفين من هو طبيب كال الخاص؟ فمع أن الوقت ليل فلا بأس أن تستشيريه في الأمر...

- لا أظن أن لكال طبيباً خاصاً. هذا شيء لم نأت على ذكره حتى الآن.

ودهشت فاني لكلامها، اذ كيف يعقل ألا يكون لامرأة في مطلع زواجها طبيب خاص. فسواء عزمت على الحبل في الحال أم ارجأته الى حين، فلا بد من الخضوع الى رعاية طبيب اختصاصي. على أن فاني اكتفت بالقول لها:

- يحسن بك أن تبحثي هذا الأمر مع كال عند رجوعه، فمن الضرورة أن يكون لكما طبيب خاص في مطلق الأحوال. والآن، فاذا لم يكن لديك حبوب منومة، فبامكانك استدراج النعاس الى اجفانك بتناول كوب من الحليب الساخن...

ولكن على الرغم من كوب الحليب الساخن والاعياء الذي كانت تشعر به، فانها احتفظت بوعيها التام وهي مستلقية في فراشها الزوجي العريض الذي لم يشاركها فيه زوجها بعد.

وكان أشد ما جال في خاطرها ايلاماً أن يموت كال، كأن لم يكفها موت حبيبها الأول باكو. وهنا أدركت الى أي حد ستكون نكبتها الجديدة اذا وقعت لا سمح الله، قاسية لا تطاق. ومن خلال هذا الادراك تبين لها مقدار تقدمها في التعلق بحب كال، حتى أنها لم تفكر في باكو لعدة أسابيع خلت. واذا استمر التقدم الذي تحقق في غضون شهرين من بدء زواجها، فلم يكن مستغرب أن تبلغ الهدف في وقت قريب. وهنا تساءلت هل يحظى كال بزواجها مرة ثانية كما وعد؟ وهل يا ترى سيعود؟ ومتى؟ أم أنها الآن أصبحت ارملة من دون أن تدري؟ أرملة لم تتزوج في الواقع بعد؟

ورزحت انطونيا تحت عبء هذه الافكار السوداء، فوضعت وجهها على المخدة وأخذت تشهق بالبكاء الى ان غلبها النعاس، فاستسلمت اليه.

واستيقظت انطونيا على رنين جرس التلفون الخافت قرب سريرها، فتناولت السماعة وهي نصف نائمة وصاحت:

- هلو!

- انطونيا؟ أنا كال. أنا بخير. كلنا بخير!

فانفتحت عيناها واسعتين عند سماعها صوت كال، وهبت جالسة في فراشها وهي تصيح:

- أين أنت؟

وكان صوت كال عالياً كأنه يتكلم من مكان قريب، في حين انه كان على بعد مئات الأميال. وقال لها:

- ستسمعين التفاصيل في نشرة أخبار التلفزيون هذا النهار، ولذلك فلا لزوم لسردها عليك الآن، خصوصاً وأنني متعب بسبب ما عانيت في الاربع والعشرين ساعة الأخيرة. على أني سأواصل القيام برحلتي كما بدأتها، وسأعود الى لندن يوم الجمعة. هل أنت بخير؟

- نعم، نعم... بخير. فاني هنا معي في البيت منذ سمعت بخبر الطائرة. أوه يا كال، كم أنا مسرورة لسلامتك!

- وأنا كذلك. مرت علي لحظات ظننت فيها أنني سأفقد رأسي، ولكنه بقي في مكانه. يجب ان أودعك الآن الى يوم الجمعة...

وقبل أن تجيب أغلق الخط. وفيما هي تضع السماعة في مكانها، طرق الباب ودخلت فاني وهي تقول:

- سمعت رنين جرس التلفون، ولكني انتظرت الى ان أعدت السماعة الى مكانها. فهل كال بخير؟

- نعم، نعم، يا له من خبر سارّ لم يكن لديه مجال للدخول في التفاصيل، ولكنه سيعود يوم الجمعة... آه، كم أنا مشتاقة الى رؤيته... ليته يحضر قبل ذلك اليوم.

فقالت فاني:

- كم أنا مسرورة لأجلك يا عزيزتي. دعيني أضمك اليّ مهنئة. ولا تنسي أن كال أقرب أصدقاء طوم اليه، وأولادنا يحبونه كثيراً... لو كان أصابه مكروه...

ولم تستطع فاني ان تكمل عبارتها، فقالت انطونيا:

- لو أصابه مكروه لما استطعت أن أتحمل، لآثرت الموت. أوه يا فاني، اني أحبه... أحبه كثيراً!

٥ - وداعاً يا حبيبي

وفي مساء ذلك اليوم، اطلعت انطونيا على تفاصيل خطف الطائرة وعلى المقابلات الصحافية التي أجريت مع المخطوفين العائدين الى لندن. وتوقعت أن يخاطبها كال بالتلفون مرة أخرى، ولكنه لم يفعل فشعرت بالحرج والضيق.

وفي اليوم التالي نشرت الصحف قائمة بأسماء المسافرين على تلك الطائرة المخطوفة، فلم يتوقف التلفون عن الرنين للسؤال عن صحة كال، خصوصاً لأنهم، وهم اصدقاؤه ومعارفه، لم يشاهدوا وجهه على شاشة التلفزيون في الليلة الفائتة.

والى ذلك الحين لم يخاطبها كال بالتلفون، فقالت لنفسها قد يكون السبب انشغال الخطوط التلفونية لكثرة المكالمات، وهو لا بد أن

يخبرها متى ستحط به الطائرة في مطار لندن يوم الجمعة لتكون في استقباله!

وكان شعورها بأنها تحب رجلاً حياً، لا رجلاً ميتاً، قد بعث في نفسها الارتياح. فهي منذ وقت طويل شعرت بأن قلبها مات مع باكو ولن يعود الى الحياة. ولكن المستقبل الآن تحوّل الى أفق لا حدود له من الامكانات والاحتمالات، بعد أن كان في نظرها خالياً كسطح القمر.

فأن تصبح ملأى بالحياة مرة أخرى بعث فيها احساساً غريباً، سيمضي وقت طويل قبل أن تتعوّد عليه. وأدركت أن خالتها وامها كانتا على صواب، فعاطفتها نحو باكو، بالقياس الى حبها لزوجها، لم تكن سوى نزعة جامحة لا اكثر.

وحين استرجعت تلك العلاقة مع باكو أدركت انها كانت هي الشريك المسيطر. فلو كان كال على باكو، لكان هو الذي اقترح ونظم عملية الهرب للزواج بها، أو لكان رفض القيام بها. كان كال رجلاً بكل معنى الكلمة، واما باكو فكان شاباً ضعيف الشخصية قد يشتد عوده مع الأيام. على أنها لا تستطيع إلاّ الشعور بالحنان نحوه وأن تلوم نفسها لأنها السبب في موته المبكر. واذا كانت وقعت في غرامه، فلأنه كان وسيماً.

غير أن كال هو الآخر، يحوز على اعجابها، ولكن بطريقة أخرى. كان صلباً، واثقاً من نفسه، مما جعله موضع ثقة واطمئنان. فلا يمكن لامرأة أن تسيطر عليه، ولكنه اذا احب امرأة فلا حدود للتساهل والتسامح معها.

خطرت هذه الأفكار ببال انطونيا وهي تنتظر رجوع كال من رحلته، حتى توصلت في آخر الأمر الى التساؤل اذا كان حب زوجها لها بقي كما كان يوم عرض عليها فكرة الزواج به.

ففي ذلك الحين قال لها: ما ان انظر اليك حتى اريدك، وهذا قول ينم عن رغبة فقط لا عن حب بالمعنى الصحيح.

ثم انها في بادىء الأمر اعتقدت أن الحب شيء لم يختبره، مكتفياً بالعلاقات العابرة. اما الآن، فعلمت مما قالته لها لورا أن هناك امرأة تمنى أن يقيم معها علاقة أبعد من ذلك.

وخيل اليها أن ديانا ويستر تناسبه من كل الوجوه. فهي ذكية، مستقلة الرأي، قادرة على النجاح في حقل لا يزال يسيطر فيه الرجال. واذن، فكيف لها، هي انطونيا، أن تنافس امرأة كهذه من الناحية العقلية؟ بل كيف لها أيضاً، حتى في الانوثة، أن تتطاول عليها وهي لا تقل عنها جمالاً وتفوقاً في المسلك والملبس؟

على أن الجمال، في آخر الأمر مسألة ذوق. ولعل كال يؤثر أن يرى عند الصباح رأس امرأة شقراء لا سمراء.

وجاء يوم الجمعة بعد طول انتظار، ولكن بدون أن تعرف بالتحديد متى يصل كال الى البيت. ولولا انهماكها في التطريز كل تلك المدة لانهارت اعصابها من فروغ الصبر. وبعد أن تناولت طعام الفطور لبست وتزينت بمنتهى العناية، على الرغم من أنها كانت على يقين أن كال لن يحضر قبل وقت العصر.

وبدت لها ساعات بعد الظهر لا تنتهي. وأمضت، وهي تصنع آخر قطبة في غطاء المخدة الذي تطرزه، انها لم تشتر وجه مخدة آخر حين مرت البارحة أمام حانوت مختص ببيع مواد التطريز.

وحاولت انطونيا أن تركز على المطالعة، فلما وجدت ذلك مستحيلاً دخلت المطبخ لتتحدث الى روشيو التي كانت تهيىء العشاء احتفاء بعودة كال.

وجلست انطونيا على كرسي مرتفع وراحت تراقب روشيو في عملها. قالت لها روشيو:

- ليس هنا مكانك الآن يا سيدتي، فرائحة البصل تفسد ثيابك وشعرك.

- لا بأس. زوجي يحب رائحة البصل.

- اني اتساءل ماذا ستكون هديته لك هذه المرة.

- هو لا يحمل لي هدية حين يعود من رحلاته.

- هل نسيت؟ اليوم ذكرى مرور شهرين على زواجكما. فحين مرّ شهر واحد أهداك ذلك العقد الرائع. ولعله بعد مرور شهرين يهديك اسوارة تنسجم مع العقد. فهو لا ينسى التواريخ يا سيدتي، حتى لو نسيتها أنت وكان عليّ ان اذكرك بها...

وفي تلك اللحظة رن جرس التلفون، فقفزت انطونيا من مكانها وانتزعت السماعة وقالت:

- انطونيا برنارد!

فجاءها جواب كال:

- ساكون عندك بعد نحو ساعتين!

- هل عدت؟ آه يا كال لماذا لم تخبرني قبل الآن عن عودتك؟ كان في ودي أن اذهب للقائك. اين انت، في المطار؟

- كلا، في مكتبي. يجب تصريف بعض الشؤون المستعجلة حتى لا اعمل غداً. سأحاول أن أصل الى البيت قبل الخامسة ليكون امامي متسع من الوقت للاستحمام وتغيير ثيابي قبل الخروج لتناول طعام العشاء...

- ولكن...

وقبل [illegible] تتمكن من اخباره أن روشيو تعدّ له عشاء خاصاً قاطعها قائلاً:

- هل نسيت دعوتنا الى الحفلة؟ هذا شيء مزعج، ولكن علينا أن نلبي الدعوة. ويمكننا ألاّ نمكث هناك اكثر من ساعة واحدة.

واغلق الخط كعادته حين لم يكن لديه شيء يقوله، فقالت لها روشيو:

- ما الخبر يا سيدتي؟ لماذا اراك قلقة متجهمة الوجه؟

- لا شيء يقلق يا روشيو... انما نسيت أن علينا الذهاب الى حفلة استقبال قبل أن نتمكن من تناول عشائنا.

وبعد مضي ساعتين او اكثر حضرت احدى سيارات الشركة يقودها سائق خاص. ولما توقفت امام البوابة الأمامية نزل منها كال قبل أن يتمكن السائق من فتح الباب له.

ظنت انطونيا انه سيأتي من المطار مباشرة، فعزمت أن تسرع نحوه وتعانقه دليلاً على فرحها بعودته اليها سالماً معافى. ولكن فجأة فقدت حماسها للقائه على هذا النحو.

وسار كال بأقدام ثابتة في الممر الخارجي، فرأى انطونيا واقفة في الشباك تلوح له بيدها. ثم اسرعت الى مدخل البيت ترحب به، فقال لها معانقاً:

- كيف حالك يا حلوتي!

واقبل ماركوس وروشيو يرحبان بسيدهما، ثم لم يلبثا أن انسحبا تاركين كال وانطونيا ليخلو لهما الجو. على أن كال بعد انسحابهما لم يرافق انطونيا الى غرفة الجلوس بل قال لها:

- الوقت امامي ضيق، فالأفضل أن أسارع الى الاستحمام وتغيير ثيابي في الحال. ويمكننا أن نتحدث ونحن في طريقنا الى الحفلة... قولي لروشيو أن تضع لماريسون السائق ابريقاً من الشاي...

وراقبت انطونيا زوجها يصعد الدرج الى الطبقة العليا، فابتسمت والتفتت الى السائق ودعته قائلة:

- تفضل الى المطبخ.

فلو كانت العلاقة بينها وبين كال علاقة زوجية طبيعية لرافقته الى

الحمام وجلست على حافة الحوض تحدثه وهو يستريح في الماء الساخن. أما والحالة كما كانت عليه، فلم تره إلّا بعد أن استحم ولبس ثيابه ونزل الى غرفة الجلوس وعليه امارات الراحة والهدوء. وقال لها:

- لدينا وقت لتناول فنجان من الشاي أو القهوة، فماذا تفضلين؟

- القهوة!

وطلبت انطونيا من روشيو اعداد فنجانين من القهوة، ثم خاطبت كال قائلة:

- كم شعرت بالقلق عليك يا كال!

- نعم، انتظار الأخبار يهلك الأعصاب... وأرجو الا اجبر على تكرار سرد ما حدث رداً على اسئلة الذين سيحضرون الحفلة. تحدثت عن هذا الأمر ما فيه الكفاية! هل أزعجك الصحافيون بأسئلتهم؟

- هنالك قائمة قرب التلفون بأسماء الذين اتصلوا للاطمئنان عليك!

- سأقرأها في وقت آخر... في هذه الليلة اريد ان أنسى كل شيء...

والتفت فرأى غطاء المخدة الذي قامت انطونيا بتطريزه فصاح:

- ما هذا؟

- فاني علمتني التطريز، فساعدني ذلك على تمضية الوقت في غيابك.

وراقبته وهو يدير قرص التلفون، ثم تحدث الى فاني بمودة وهو يحتسي الشاي.

ثم قال لانطونيا بعد أن انهى حديثه:

- حان وقت انصرافنا... هيا بنا يا عزيزتي!

وكان هاريسون في السيارة يقرأ الجريدة، وحين رآهما نزل من السيارة وفتح لهما الباب الخلفي.

وفي الطريق الى مكان الحفلة، قال لها كال:

- وجدت بانتظاري في المكتب تفاصيل منزلين للبيع. وسنذهب غداً لنراهما...

وعدا ذلك لم يدر بينهما حديث يذكر، اذ جلس كل منهما بعيداً عن الآخر كأنهما لم يكونا عريسين، وكأن احدهما لم يرجع حياً من بين شدقي الموت. ورغبت انطونيا الاقتراب منه والقاء خدها على كتفه، ولكن كال كان يحدق الى الأمام وهو غارق في التفكير بأمور لا علاقة لها بها.

وحين وصلا الى مكان الحفلة، لم تر بين الحضور لأول وهلة وجهاً تعرفه، الى أن حانت منها التفاتة الى صدر القاعة فلمحت ديانا وبيش، فتساءلت هل كان كال يعلم انها ستكون في الحفلة؟ ألهذا السبب أصر على الحضور، مع انه قال لها مراراً انه يكره الحفلات التقليدية.

ولقي كال، كما توقع، اناساً كثيرين همهم أن يعرفوا تفاصيل ما جرى للطائرة المخطوفة. وأقبلت ديانا نحو انطونيا من بعيد، وكان بوسعها أن تتجاهل وجودها. ورأت انطونيا انه كان على ديانا أن لا تقبل نحوها لئلا يتندر الحاضرون بمرأى زوجة كال ورفيقته السابقة جنباً الى جنب. على أن ديانا لم تكن من النساء اللواتي يخطر بباله مثل هذه الخواطر. فهي لم تسلم على انطونيا فحسب، بل دعتها الى الجلوس في مقعد قريب. وتساءلت انطونيا ماذا يمكن لكال أن يفكر حين يراهما معاً.

وقالت لها ديانا:

- ما اجمل ثيابك.

- لا بدّ أن خالتك تعاني من خيبة امل، فيجب العطف عليها. فلو سمح لها بالخروج طليقة الى العالم والعمل بما هو اكثر ابداعاً من ادارة الشؤون المنزلية، لما أصبحت متحجرة مستبدة... وأنا اعلم انني لو عشت منذ نصف قرن لجن جنوني بسبب اضطراري للخضوع لمشيئة والدي الى أن يأتي من يتزوجني أو أبقى عانساً مسحوقة طول حياتي.

- أوافق على كلامك، ولكن ليس الى حد اعتبار ادارة الشؤون المنزلية عملاً لا ابداع فيه... هل تعرفين طوم رانكن وزوجته فاني؟

- كلا.

- فاني رانكن لها سبعة أولاد وبيت كبير تدير شؤونه وهي امرأة واسعة الاطلاع وحلوة المعشر الى حد بعيد، حتى أنها جعلت من كونها زوجة عملاً فنياً قائماً بذاته. فحين يكبر أولادها تكون أرسلت الى العالم بسبعة أشخاص مثقفين. فاذا لم يكن هذا انجازاً عظيماً، فما هو الانجاز العظيم اذن؟

وقبل أن تتمكن ديانا من الاجابة سمعت كال يقول:

- لا بد انك تكررين انشودتك المفضلة يا ديانا... ولكنك لن تستطيعي اقناع انطونيا بآرائك... فهي مغسولة الدماغ جيداً من أصحاب الآراء المعاكسة...

فأجابته ديانا على الفور:

- لا احلم بأن أكون قادرة على اقناع زوجتك يا كال. فأنت تجهل التطور الذي طرأ على آرائي. كنت ضد الزواج فيما مضى، ولكني الآن اعترف بخطأ ذلك.

ونهضت ديانا من مكانها ووقفت وجهاً لوجه امام كال وقالت له:

- لو عشت سنواتي الماضية من جديد، لما جزمت بأن الزواج لا يلائمني، بل كنت اذا جاءني من أحب تخليت مسرورة عن مهنتي وتزوجته من دون تردد... امّا الآن ففاتني القطار.

ورمقت انطونيا بنظرة وقالت لها:

- وداعاً يا سيدة برنارد.

وفيما هي تشق طريقها وسط الجمع قال كال لانطونيا:

- دعينا نخرج من هذا الجحيم!

- هيا!

ولزم كال الصمت في طريق العودة الى البيت، فتساءلت انطونيا اذا كان نادماً لأنه لم يجتهد بما فيه الكفاية لاقناع ديانا بالزواج به.

وبعد حين قالت لكال:

- هل التقيت ابن ديانا وستر يا كال؟

نظر اليها وقال:

- يا الهي! هل أخبرتك قصة حياتها؟ نعم التقيت بابنها، فوجدته فتى لا بأس به اذا قيس بوالده الذي هو نموذج انساني تعس!

- لماذا؟ الأنه لم يتزوج ديانا؟

- كان يريد أن يتزوجها على ما اظن، ولكنها هي التي رفضت، قلت ذلك عن الرجل لأنه سمح لها أن تنكر عليه رؤية ولده. فهو لا يعرف عنه شيئاً إلاّ من التقارير!

وفي تلك الليلة، وهي في فراشها راحت تفكر في قول ديانا لها: «أنت مغرمة بكال على ما يبدو... هذا يلائم مزاجه الى حد بعيد!».

وتساءلت انطونيا كيف بدا لديانا ذلك؟ واذا كان بدا لها، فلماذا لم يبد لكال؟ فهل وقعت في غرام رجل لا يهتم إلاّ بالمشاكل العملية؟ ثم تذكرت أحد الكتب التي وجدتها في غرفته، وهو كتاب شعر. فمن يعنى بقراءة الشعر لا يكون انساناً عادياً...

وانتهت انطونيا في تفكيرها الى الجزم بأنها تحبه ولكنها لا تفهمه. ثم اغمضت عينيها لتستقبل النوم بحسرة عميقة.

حالما رأت انطونيا المنزل المسمى مالبري لودج أدركت انها، اذا استطاعت أن تجعل كال يقع في غرامها - فانها ستكون سعيدة جداً بالاقامة فيه. كان منزلاً قديماً صغيراً، حجارته قرميدية أعاد الى ذاكرتها سفوح الجبل الكائن وراء فنكا دي لافليسيدا باسبانيا. وكان المنزل خالياً بعد أن سكنته امرأة في الرابعة والثمانين لم تعد قادرة على تدبير شؤونه وصيانته. وعلى الرغم من حاجته الى الترميم، فانه بدا رائع الجمال ويخيم عليه السحر. وكانت تحيط به حديقة غناء، مغطاة بالعشب الأخضر، ولا يعوزها الا شيء من العناية لتعود الى سابق عهدها من الروعة.

على أن المطبخ وتوابعه لم يرق لكال، ولكن انطونيا رأت ان هذا النقص يهون لو أخذ كال بعين الاعتبار غرفة الجلوس ذات الجدران الخشبية والنوافذ العالية، والموقدة الضخمة التي تتصدرها. وتخيلت انطونيا في الحال تلك النوافذ وعليها ستائر طويلة الى الأرض، كما تخيلت وجود مقعدين طويلين موجهين على جانبي الموقدة، تتوسطهما سجادة شرقية، وتعلوهما هنا وهناك لوحة تمثل منظراً طبيعياً للريف أو البحر.

بقي عليها أن تعرف رأي كال، إلا انها ترددت في سؤاله مخافة الا يشاركها حماسها للمنزل. وكانا قد شاهدا منزلاً قبل الظهر، فلم يبد كال رأيه فيه. ذلك المنزل أقرب الى لندن وأكثر ترتيباً من هذا المنزل.

وقالت له بعد أن فرغا من الطواف في الحديقة:

- هل نعيد النظر في داخل المنزل مرة اخرى؟

فاجابها وكأنه اتخذ قراره ولكنه لا يمانع في تلبية طلبها:

- نعم، بكل تأكيد. فلدينا متسع من الوقت.

وفي احدى الغرف المشمسة في الطبقة العليا قالت له:

- هذه غرفة للاطفال... آه ما اجملها!

فبادرها قائلاً:

- هل ملاحظتك هذه نظرية أم عملية؟

فحوّلت نظرها نحو النافذة وقالت:

- حسبت أن رغبتك في انجاب الأولاد هي أحد الأسباب التي دفعتك للزواج بي.

- نعم، أحد الأسباب!

وتساءلت انطونيا عما يجول في خاطره: هل يكون انه بعد أن عرف أن ديانا غيرت رأيها في الزواج، لم يعد مستعجلاً؟ بل فضل التفكير على مهل في فسخ عقد زواجه؟ فاذا كان الأمر كذلك، فلماذا جاء بها لشراء منزل؟ ام هل هو يا ترى من الرجال الذين اذا تزوجوا يحافظون على زواجهم، لا لسبب عاطفي بل لأنهم وقعوا بامضائهم على عقد ولا يريدون الغاءه.

وتابعت انطونيا تفكيرها، فقالت لنفسها: اذا كان كال قوياً الى حد اخراج ديانا من حياته، فانا ايضاً يجب أن اكون قوية الى حد الوقوع في غرامه واعطائه كل شيء من غير مقابل. ولكن كيف اتأكد انه عزم على اخراجها من حياته؟

وبادرها كال بالقول:

- يبدو لي انك احببت هذا المنزل!

- نعم. لكنه قد لا يكون المنزل الذي ترغب فيه انت!

- البيت، على وجه العموم، يهم المرأة أكثر مما يهم الرجل. قلت لك مرة أنني آكل انواع الطعام، شرط أن يكون النوع الذي آكله جيد الطهي. وكذلك، فاذا كان البيت مريحاً ودافئاً في الشتاء وبارداً في الصيف، فلا يهمني اذا كان قديماً أم جديداً. اترك الأمر لك. إلاّ أن البيوت القديمة يصعب العناية بها وصيانتها، ولكنها من ناحية ثانية تتمتع بموقع أفضل من البيوت الجديدة. فاذا كنت تحبين هذا المنزل،

وكان وضعه على ما يرام، فهو لك!

وبعد ذلك ببضعة ايام أخبرها كال انه أتم شراء ماليري لودج، وقال لها:

ـ ولكن يجب أن ننتظر على الأقل ستة أشهر، وهو الوقت اللازم لتسييج الحديقة جيداً، واجراء بعض الاصلاحات الضرورية، ناهيك بتأثيثه وتجميله. فما أن يصبح صالحاً حتى تصبح بحاجة الى غرفة الأطفال. . . هل بدأت تنظرين الى شهر العسل الثاني برحابة صدر أوسع مما نظرت الى شهر العسل الأول؟

ـ وعلا الاحمرار وجه انطونيا على ذكر غرفة الأطفال، فقالت بنبرة خافتة:

ـ لا شك أن واحدنا يعرف الآخر الآن أكثر مما كان يعرفه عندما تزوجنا.

ـ هل هذا صحيح؟ هاتان العينان العسليتان لا تعكسان كثيراً مما يكمن وراءهما. يا لك من مخلوقة كتومة يا انطونيا!

ـ هل أنا كذلك؟ لا أدري. كنت أحسبك قادراً على قراءتي ككتاب مفتوح!

ـ بعض الأحيان. ولكنني بين الحين والآخر أصل الى صفحة مطوية يصعب فتحها!

ـ اذا كان الأمر كذلك، فلماذا لا تطلب مني أن افتحها لك؟

وقطع حديثهما رنين جرس التلفون، فلما انهى كال المكالمة عاد الى استئناف الحديث.

وحين أعادت انطونيا الى ذاكرتها ما قالته، لم تتمالك من الاستنتاج أن ملاحظته عن امكان عدم موافقته على كل افكارها الخاصة انما تشير الى باكو. ولكن باكو قد مات، وأما ديانا فلا تزال على قيد الحياة وفي هذه المدينة بالذات.

وفي الاسبوعين اللذين تليا، سنحت لكال أكثر من فرصة لمخابرتها بالتلفون من مكتبه ليقول لها انه سيتأخر في المجيء الى البيت وقت العشاء. وكانت العادة في اسبانيا لا تزال تسمح للرجال بأن يقضوا وقتاً قليلاً مع عائلاتهم خلال الاسبوع ولكن شرط أن يصرفوا يوم الأحد كله في العناية بنسائهم وملاعبة أولادهم. ولذلك كان على انطونيا اذا ما قضى كال ليلته خارج البيت، أن تحسب انه قضاها في النادي يتحدث في الشؤون السياسية مع الرجال. وكانت اشترت قطعة قماش اخرى للتطريز، فساعدتها على ملء الفراغ والانصراف الى وضع التصاميم للمنزل الجديد.

غير انها، وقد علمت بعلاقة كال بديانا، لم تتمالك من التساؤل اذا كان تأخر كال أو غيابه مدعاة للشك والغيرة.

وفي زيارتها الثانية للمنزل الجديد برفقة المهندس الذي استخدمه كال لمساعدتها في ترميم المنزل وتجميله، قال لها زوجها:

ـ لا تسمحي له بأن يحملك على فعل اي شيء لا يروق لك. فمهمته هي مساعدتك واسداء المشورة، لا فرض ذوقه عليك.

ولكن المهندس، في تلك الزيارة الأولى، برهن على انه كان منزهاً عن الغطرسة، فبذل كل جهد لمعرفة ذوق انطونيا وخياراتها. فكانت الساعة التي قضتها معه ممتعة أنستها ولو الى حين مشاكلها العاطفية.

ولم يمض وقت طويل حتى سافر كال الى الولايات المتحدة الاميركية في رحلة عمل.

وقبل سفره، اقترح على انطونيا أن تزور والدتها خلال مدة غيابه ثم يلاقيها في فالنسيا ومن هناك يذهبان الى منزلها الريفي لقضاء بضعة ايام.

وبما أن طائرتيهما كانتا ستتركان مطار لندن في وقت واحد تقريباً ركبا السيارة معاً الى المطار. وفيما هما يقتربان من المطار، قال لها:

- ما بالك هادئة؟ الا تثور اعصابك من فكرة الطيران وحدك؟

- كلا، ابداً.

وفي الحقيقة كانت شديدة التوتر، ولكن لا للسبب الذي ذكره كال، بل لأنها عزمت عند وداعه أن تتخذ خطوة جريئة نحو حل المشكلة القائمة بينهما.

وكانت طائرة كال ستقلع اولاً، وحين أعلن عن اقلاعها قال لانطونيا:

- اعتني بنفسك.

وكان سيكتفي من وداعها بقبلة خفيفة على وجنتها، غير ان انطونيا طوقته بذراعيها وأغلقت عينيها واستسلمت.

ومع انها لم تتوقع أن يرفض، الا انه لم يدر في خلدها انه وهما في مكان عام سيتجاوب بحماسة فائقة. فلبضع دقائق وجدت نفسها تكاد تسحق [illegible] قوته.

وحين [illegible] لا [illegible] اذا كانت قررت فجأة انها تريده أن يبقى معها، أجابت بسرعة:

- لا، لا. دعنا نلتقي في اسبانيا كما قررنا، وحين نذهب الى منزلنا الريفي احب... اعني... اريد أن تكون الأمور غير ما كانت عليه حتى الآن بيننا.

وأبعدها عنه تاركاً يديه على كتفيها، وقال:

- هل حقاً تعنين ما تقولين؟ هل انت واثقة من ذلك؟ لماذا اليوم؟ لماذا لم يكن ذلك البارحة؟

- لا اعلم... لا اعلم. يجب أن نقول وداعاً الآن يا حبيبي!

وحين سمع منها كلمة «حبيبي» لأول مرة ثار الدم في عروقه وصاح:

- ليت هذه الرحلة لم تكن... كيف يمكنني أن احصر اهتمامي بالمهمة التي انا ذاهب لأجلها، حين...

فقاطعته قائلة:

- لا، ارجوك، اريدك أن تسافر. أفضل ألا نبدأ حياتنا الجديدة هنا في لندن، بل هناك في منزلنا الريفي حيث كنت دائماً أشعر بالهناء والسعادة.

وهنا لم يجد بداً من الانصياع لارادتها، فودعها وسار في طريقه الى الطائرة.

كان شعورها غريباً حين عادت الى فالنسيا لتجد نفسها كأنها اجنبية في المدينة التي كانت لزمن طويل على سكناها.

وكما توقعت، فقد أعطيت اجمل الغرف المخصصة للضيوف، وهي كناية عن غرفة جلوس، وغرفتي حمام، وغرفة نوم وتوابعها. وعندما تذكرت آخر مرة اشتركت فيها مع كال في غرفة ذات سرير مزدوج، شعرت بالدم يجري حاراً في عروقها عند التفكير في أنها ستعيد التجربة ذاتها.

وأول مرة انفقت على شيء خاص بها كان شراء قميص نوم من الحرير الأخضر الفاقع، وهو أفخر من القميص الأبيض الشفاف الذي ارتدته ليلة عرسها.

ومرت أيام الانتظار ببطء. ومع أن كال قال لها أنه لن يخاطبها بالتلفون، الا أنها اعتقدت أن طريقة الوداع قد تحمله على تغيير رأيه هذا. ولذلك خاب أملها حين كاد يمضي الوقت من دون أن يتلفن اليها من أميركا.

وفي اليوم الثالث لوجودها في اسبانيا ذهبت الى المزين مع والدتها وهناك أخذت تقلب صفحات احدى المجلات، فجذبت نظرها صورة بعض الناس يهبطون سلم الطائرة وكم كانت دهشتها شديدة

حين عرفت من بينهم ديانا ويستر!

وحين قرأت في أسفل الصورة أن الطائرة هبطت في مطار نيويورك، شعرت بانزعاج شديد. صحيح أن المجلة صادرة حديثاً، الآ ان الصورة قد تكون أخذت منذ زمن، فهل ديانا ويستر لا تزال في نيويورك؟ وهل لهذا السبب ذهب كال الى هناك؟ أم أن الأمر لا يعدو كونه مصادفة؟

وفكرت أنها كانت غبية حين رفضت أن يقلع عن رحلته ويبقى معها. قد لا يكون خطط لملاقاة ديانا في نيويورك، ولكنه قد يصادفها في مكان ما. واذا فعل فلا بد أنها ستحاول اغراءه واثارة عواطفه لها.

وفي تلك الليلة قالت لها امها الينا:

- انت تفتقدين زوجك كثيراً. عندما وصلت الى هنا كنت سعيدة ومليئة بالحيوية، والآن أراك مستوحشة في غيابه. عليك بالصبر، فلا يزال امامك بضعة ايام من الانتظار... لماذا لا تطلبينه بالتلفون؟

- انه يقضي معظم وقته خارج الفندق يا أمام. فاذا تركت له رسالة قد يظن أن مكروها اصابني. وكما قلت، فليس امامي سوى بضعة ايام من الانتظار...

وفي الواقع لم يمض يومان حتى قبل لها، وهي راجعة من زيارة لها في الريف، ان كال وصل في غيابها.

فصاحت وقلبها يكاد يطير من شدة الخفقان:

- اين هو؟

ولما علمت أنه مع امها الينا، صعدت السلم راكضة ودخلت غرفة امها كالسهم وهي تصيح:

- كال... كال هل عدت؟

وألقت نفسها بين ذراعيه، فضمها اليه. ولكنها حين نظرت الى وجهه ورأته متجهماً خالياً من الابتسامة، أدركت ان في الأمر سوءاً

وفيما هي تتراجع انحنى وقبلها على خديها كما لو كان يقبل امها الينا، أو خالتها تيا انجلا.

وقالت الينا:

- سأترككما وحدكما... فالسفر في الطائرة هذه الأيام متعب جداً... فلعلك يا كال تحب أن تستريح قليلاً قبل العشاء.

وحين خرجت من الغرفة، ارتمى كال على المقعد وقال:

- نعم، اشعر بالارهاق الشديد. فالقيام بعمل يستغرق اسبوعاً كاملاً في أربعة ايام أمر مرهق حقاً... كيف قضيت الوقت مدة غيابي؟

- كالعادة. تحدثت مع امي، وقمت بزيارة بعض الأصدقاء. آسفة لأنني لم أكن هنا عند وصولك.

- لا يهم. لم اتوقع أن اجدك هنا بانتظاري. فالطقس حار جداً. سنستأنف حديثنا بعد أن استحم... أتسمحين؟

- نعم بكل تأكيد. سأريك الغرفة التي خصصت لاقامتنا

وقادته في الممر، وعقلها يسبح في بحر من الرعب. فهذا لم يكن اللقاء الذي انتظرته بفائق الشوق. وبدا لها أن ما حدث في مطار لندن لم يكن سوى حلم لا اساس له من الواقع.

وفي غرفة النوم التفت اليه وبادرته بالقول:

- افتقدتك كثيراً. تلك الأيام القليلة بدت لي كأنها اسابيع!

فأجابها بتحفظ ظاهر:

- تمنيت عبثاً أن آخذ قسطي من النوم وأنا في الطائرة، ولذلك فلا اظن أنني سأكون حلو المعشر قبل أن ارتاح ساعة على الأقل. آسف لذلك. والآن سأستحم وأنام قليلاً، ثم القاك على مائدة العشاء...

فلم يكن امامها الا القول:

- نعم، كما تريد.

وفكرت انطونيا أنه ربما كان صادقاً في شعوره بالارهاق بعد سفر اجتاز فيه الأطلسي مرتين. ولكنها في الوقت نفسه احست ان ذلك لم يكن السبب الوحيد لتصرفه ذلك التصرف.

فمنذ افتراقهما، لا بد أن يكون طرأ ما غيّر مزاجه نحوها. فماذا يمكن ان يطرأ في نيويورك ويكون له تأثير على زواجهما غير لقائه ديانا؟

٦ ـ غيوم السعادة

وتركت انطونيا غرفة النوم وجلست مدة ساعتين في الغرفة التي احتلتها منذ أن كانت طفلة. ومرّ الوقت ببطء لم تختبر مثل بطئه من قبل، الى أن لم يبق الى وقت تناول طعام العشاء سوى خمس وأربعين دقيقة. فرجعت الى غرفة النوم حيث كان زوجها مستلقياً في الفراش.

وكان ظهره الى الباب، فحين دخلت وسارت بخطى هادئة نحو السرير، رأت عينيه مغلقتين، ولكنها لم تعتقد انه كان غافياً.

وكانت قد رأته نائماً في الصباح التالي ليوم زواجهما، فتذكرت بوضوح كيف كانت ملامح وجهه آنذاك، فهي تختلف عما كانت عليه الآن. ومع أنه فتح عينيه وبدا كأنه يستيقظ، فانها مالت الى الاعتقاد

انه لم ينم منذ أن فارقته.

فسألته وهي تجلس الى جانبه:

- هل انت أحسن حالاً الآن؟

فأجابها وهو ينظر الى الساعة قرب السرير:

- نعم، شكراً. لدي وقت كافٍ لاستحم مرة أخرى قبل العشاء. هل تستحمين أنت ايضاً؟

- نعم، ولكن هناك غرفة حمام أخرى، فليس عليك أن تنتظرني ريثما انتهي.

وأخذ كال وقتاً أطول للاستحمام مما أخذته انطونيا، وعندما خرج من الغرفة كان يرتدي سروالاً رمادياً، بينما بقي نصفه الأعلى عارياً.

وكانت انطونيا جالسة أمام المرآة تتكحل وهي، عن سابق تصور وتصميم، لم تكمل ارتداء ملابسها.

ولمحت كال ينظر اليها، ثم سار نحو خزانة الثياب. وكان اكتفى بأخذ حقيبة واحدة للثياب معه الى نيويورك ولكن انطونيا جلبت له معها حقيبة أخرى ملآنة بالثياب وراقبته وهو يرتدي قميصاً بأزرار ويدخله تحت سرواله. وفي لندن لم يكن يلبس سترة وربطة عنق لتناول طعام العشاء في البيت، ولكنه فعل ذلك الآن، لعلمه أن خالها يواكين يرتدي دائماً ثيابه الرسمية في فالنسيا.

وما أن انهت تجميل وجهها، كان كال مستعداً للنزول الى الطبقة السفلى. وكانت الساعة تشير الى اقتراب الوقت المعين لتناول طعام العشاء.

ونهضت انطونيا من مكانها وتناولت ثوباً من الحرير الشفاف وقبل أن ترتديه قالت له:

- ليتك تساعدني على تزريره من الوراء!

- نعم، بكل سرور!

غير أن عينيه لم تنظرا الى جسمها، ثم ان السرعة التي زرر فيها الثوب هي من شأن الزوج القديم العهد بالزواج، لا العريس الذي لم يمض على زواجه الا اسابيع قليلة.

وكانت انطونيا قررت كيف تجابه هذا المأزق الجديد. ففي أثناء استراحة كال، تذكرت حديثاً جرى بين والدتها ووالدة امبارو. كانتا تبحثان قضية صديقة وقع زوجها في غرام امرأة اخرى، فاتفقتا على أنه خير لهذه الصديقة ألاّ تظهر تعاستها، بل أن تكتمها وتتظاهر بأنها لا تعلم بخيانة زوجها لها، على أن تبذل كل جهدها في أن تكون ساحرة جذابة في نظره.

وهذا ما نوت انطونيا أن تفعله في تلك الحالة... كال تزوجها وجعلها تقع في غرامه، وفي هذه الليلة سيجد فيها زوجة مشتاقة الى الاستجابة له.

أثناء تناول الطعام، تصرف كال تصرفاً اعتيادياً، حتى انها شعرت أن لا أحد من الحاضرين شك في وجود ما يعكر صفو العلاقة القائمة بينهما.

وقبل الفراغ من تناول الطعام بقليل، بدأ الرجلان يتحدثان في الشؤون السياسية، فانسحبت تيا انجلا واختها وسائر النساء الى الغرفة المجاورة. وبعد نحو نصف ساعة استأذنت انطونيا للذهاب الى فراشها، فقبلت خالتها وامها، ثم عبرت الغرفة الى حيث جلس خالها وكال وقالت:

- طابت ليلتكما... أرجو ألاّ يطول سهرك يا كال... رغم بطولتك، فلا بد أنك لا تزال مرهقاً من التعب.

فأجابها خالها:

- لا تقلقي. لن ادعه يتكلم طويلاً يا عزيزتي. عشر دقائق لا أكثر. أعدك بذلك!

فقالت انطونيا لكال:

- اري انه يجب عليك أن تنام باكراً بعد هذه السفرة الشاقة، خصوصاً اذا كنت تنوي الذهاب غداً في الصباح فاذا ابقاك خالي ساهراً مدة طويلة، فسآتي وأنقذك منه. فأنا اعرف حماسه حين يتحدث في السياسة.

وفي طريقها الى الطبقة العليا، صادفت بنافيز احدى خادمات خالتها اللواتي خدمن العائلة منذ صغرهن، فقالت لها:

- ماذا جرى لسيدي زوجك؟ أمنذ وقت طويل يشكو من انفه؟

فأجابتها بحيرة:

- من انفه؟

- انه يشخر كثيراً، ولكني لا يزعجك امري أن اهيىء له فراشاً في غرفة الملابس. عليك أن تحمليه بستشير طبياً يا سيدتي. فالرجال يهملون اوجاعهم، كما تعلمين.

قالت بنافيز هذا الكلام وتابعت سيرها.

هذا التحول في مجرى الأمور لم تحسب له حساباً. على أن الغرفة التي سينام فيها لم تكن تتصل مباشرة بالحمام. فكان على كال أن يمر بغرفة نومها.

وكانت جالسة على الكرسي تتصفح المجلة التي اشتراها لها لتطالعها في الطائرة. وحين دخل الغرفة قالت له:

- لماذا لم تقل لي أنك تشكو من زكام في انفك؟

- لا اشكو من شيء. هذا عذر اختلقته لأبرر نومي في غرفة وحدي... اعتقدت أنك لا تريدين البدء بحياتنا الجديدة الا في منزلنا الريفي!

فسارت انطونيا نحوه الى الجانب الآخر من الغرفة وقالت له:

- اريد ما تريده أنت يا كال!

وبرقت عينا كال للحظة، ثم قال لها:

- لا ازال أشعر بالتعب يا انطونيا. انتظرنا طويلاً، وأظن ان بامكاننا الانتظار وقتاً قصيراً بعد.

قال ذلك وعبر الغرفة من أمامها الى الحمام. وحين خرج من الغرفة كانت جالسة في فراشها. فقالت له:

- طابت ليلتك!

فأجابها من دون أن ينظر اليها:

- طابت ليلتك!

وفي الصباح استمرت في التظاهر بأن ما منعه عن مشاركتها فراشها هو الارهاق الشديد الذي سببته له الرحلة.

وفيما هما في الطريق الى المنزل الريفي، لم تأسف لمغادرة فالنسيا. فبعد اكثر من شهرين في انكلترا، حيث الشمس بركة ينتظرها الناس بفارغ الصبر، وجدت بيت عائلتها اعظم مما كان يبدو لها في الماضي.

ومع أن الحرارة في فالنسيا اكثر حرارة مما في انكلترا، فانها رأت أن بالامكان الاحتفاظ بالبرودة من دون التضحية بجو البيوت الانكليزية الأكثر مرحاً والذي اعتادت عليه.

ووصل كال وانطونيا الى المنزل الريفي عند الظهر، وبعد أن سبحا في بركة السباحة استلقيا في الشمس. وكانت الشمس لوحت جسم انطونيا وهي في لندن، ومع ذلك رأت من الحكمة أن تدهن جسمها بعلاج يرد عنه خطر الاحتراق بحرارة الشمس. وفيما هي تفعل ذلك طلبت من كال أن يساعدها على دهن ظهرها. ثم أخذت تفكر كيف لمس اصابعه لظهرها العاري، ولم يظهر كال أية حماسة وهو يدهن ظهرها بكفه بدل أصابعه. ثم انه فعل ذلك بسرعة، كما لو كانت طفلة أو امرأة متقدمة في السن. وعندما فرغ من عمله، تنهد كما لو كان يعمل عملاً شاقاً لا يروق له. فشكرته انطونيا وهي تشعر

في أعماقها بخيبة أمل شديدة. ذلك انها أملت ان يدغدغها بحب وحنان كما هي العادة بين الرجل وحبيبته.

وقال لها:

- سأسبح مرة ثانية. . .

ثم سمعته يغطس في الماء. وتأكدت الآن انه خانها في نيويورك، اذ لا يمكن لأي رجل في عز الرجولة أن يقاوم اغراء زوجته، الاّ اذا كان خارجاً لتوه من أحضان امرأة اخرى.

وربطت انطونيا حمالة المايوه وانتصبت جالسة وأخذت تراقب كال وهو يسبح من طرف البركة الى طرفها الآخر. كان يتقن السباحة جيداً، فوجدت متعة في النظر اليه.

وفجأة خطر لها أنه امضى وقتاً لا بأس به في السباحة من دون أن يظهر عليه أي أثر للتعب. كان يسبح بقوة وعزم من غير توقف. فهل يكون ان ملامستها له حركت عواطفه فراح يخفف عنه بالسباحة لئلا يفقد السيطرة على اعصابه؟ لو عرفت ديانا حقيقة الزواج الذي تم بينها وبين كال لحاولت، ربما أن تقنعه بامكان الغائه من دون عناء.

وبعد حين، خرج كال من البركة وجلس على حافتها يلهث من شدة الاعياء وكان جسمه الملوح بحرارة الشمس يلمع تحت قطرات الماء المتصببة منه.

ونهضت انطونيا ومشت حول البركة بهدف الجلوس الى جانبه. فما أن راها تقترب نحوه حتى نهض واقفاً على قدميه بخفة الرجل الذي يتمتع بكامل الصحة والعافية، وبادرها قائلاً:

- انا ذاهب لأهيىء نفسي للغداء. ولو كنت مكانك، لسترت جسدي مدة من الزمن اتقاء للحر الشديد. . .

وبما أن العلاج الذي دهنت به جسمها يقيها أي خطر من حرارة الشمس، فلم تجد تفسيراً لملاحظته هذه الاّ أنه يعتبر أن وجودها معه

وهي لابسة أخف ظلاً منها وهي بملابس السباحة.

وحين تبعته الى غرفة النوم المكيفة الهواء والتي أعدتها لها الخادمة ماريا، كان كال يبدل ثيابه وبدأ يمشط شعره.

فتجاهل دخولها، ولكن حين عبرت الغرفة الى حيث كان واقفاً، ربتت على كتفه فلم يعد بامكانه أن يتجاهل وجودها، فالتفت اليها ورمقها بنظرة جافة. فقالت له وقد وضعت كفيها على صدره:

- الا ترى انه يحسن بنا أن نتابع ما بدأناه في المطار؟

ولمدة طويلة لم تلمح في عينيه الزرقاوين أي اثر للتجاوب الحار، ولكنه فجأة أخذها بذراعيه وغرق معها في عناق عميق لا قرار له.

فأخذت انطونيا ترتجف، وحلقت في آفاق الحب، فهي الآن اصبحت لا تجد في كل ما يفعله بها الا البهجة والسعادة التي تاقت اليهما.

على أنها سرعان ما وجدت أن ذلك العناق لم يكن مقنعة لما كانت تنتظره من زوجها بعد أن أصبحت مغرمة به أشد الغرام، اذ أنه افلت منها بحزم وتصميم قائلاً:

- يا الهي! كان يجب ألاّ افعل هذا!!

فصاحت به:

- لماذا لا يا كال؟

فحوّل وجهه عنها. وبدا لها أنه كان يصارع مشكلة ما في داخله وتأكد ذلك لها حين اجاب:

- لأن لي ما أقوله لك.

وفجأة رأت وجهه شاحباً وهو يقول لها:

- استعدي لسماع خبر يهزك من الأعماق. . . الشخص الذي اعتقدت أنه مات، لم يمت. . . باكو بنتيز لا يزال على قيد الحياة!

فصاحت انطونيا غير مصدقة:

ـ باكو على قيد الحياة! كيف يكون ذلك... قالوا لي انه قتل!

ـ لا، اذا تذكرت ما حدث آنذاك لوجدت أن لا أحد أخبرك أنه مات، بل هذا ما اعتقدته بنفسك، ولم يبال أحد بتصحيحه لك.

وبعد حين من التفكير في الأمر قالت لكال بعصبية ظاهرة:

ـ لماذا اخفوا الحقيقة عني، لماذا؟

ـ لا ادري.. العالم ملآن بالذين يعتقدون أن الغاية تبرر الواسطة، ويبدو أن خالتك من هؤلاء الناس!

ـ وامي؟ كيف فعلت ذلك وهي تعلم التعاسة التي يسببها موته لي!

ـ لعلها اعتقدت ان بضعة أشهر من التعاسة خير من سنوات كلها تعاسة!

ـ ولكنهم لم يكونوا يعلمون أني سأندم، ومن قال لهم أني سأكون تعيسة مع باكو؟ ما أقبح ما فعلوه بي.

وقال لها كال موافقاً:

ـ نعم، معك حق... وأنا عندما عرفت الحقيقة لم أوافقهم على اخفائها عنك..

ـ وكيف عرفت الحقيقة؟

ـ باحت بها أمك عن غير قصد منها. كانت تخبرني كم هي سعيدة بأن تراك هانئة بزواجك، مما يريح ضميرها لموافقة خالتك على اخفاء حقيقة كون باكو على قيد الحياة.

فقالت بصوت خافت:

ـ لن اغفر لخالتي تيا انجلا أو لأمي ما فعلاه ولكنهما كانتا على حق في معارضة زواجي بباكو. لم يكن حباً ما شعرت نحوه، بل هياماً عابراً. كنت بعد صغيرة السن وغير ناضجة... الآن أصبحت أحسن حالاً منذ أخذتني الى انكلترا.

ـ لا تستطيعين أن تتأكدي من ذلك قبل أن تقابلي باكو مرة اخرى. هو يعمل في مدريد، حيث ساعده خالك بطلب من خالتك على ايجاد وظيفة جيدة أفضل بكثير من الوظيفة التي كان يقوم بها في فالنسيا.

وهنا صاحت انطونيا بتهكم:

ـ آه، لو كان يحبني حقاً لما استبدلني بوظيفة في مدريد... ولكن كيف تمكنوا أن يقنعوا امه، بالسير معهم في هذه الخدعة؟ أعرف أنها لم تكن تريدني زوجة لابنها. ولكنها بدت لي امرأة صادقة نزيهة. وكم دهشت حين التقيتها في الشارع وهي تلبس السواد وصاحت بي قائلة أن اللوم يقع علي لموت ابنها...

ـ لعلها كانت تلبس السواد حزناً على شخص آخر... وهل أنت متأكدة انها أشارت الى موت ابنها بكلام واضح؟ قد يكون انها لم تستعمل كلمة «موت» بل كلمة مثل فقدان أو ذهاب وما الى ذلك. انظر الى كونها من الطبقة الفقيرة، فمدريد بالنسبة اليها أبعد بكثير مما هي بالنسبة الينا....

ـ لا استطيع أن أتذكر ما تلفظت به بالضبط أعرف اني تأثرت من كلامها جداً. فما أتعس أن يحمل الانسان اللوم على موت انسان آخر!

ـ دعك من هذا الآن...

فقاطعته قائلة:

ـ ظننت اني كنت سبب موته... لم اتذكر كيف وقع الحادث... قال لي الطبيب اني قد لا اتذكره أو قد اتذكره فجأة في يوم من الأيام. وفقدت الأمل على أن لا اتذكره ابداً...

ـ اللوم لا يقع عليك ولا على باكو، وانما على سائق سيارة اخرى...

تفوهت انطونيا بهذا الكلام وأخذت تشهق بالبكاء... وكان الكبت أضناها في المدة الأخيرة. فاستسلمت الى البكاء ووجهها بين يديها.

فأقبل كال نحوها وأحاطها بذراعيه، فمالت نحوه كطفل بائس. وبقيت كذلك الى أن توقفت عن البكاء بعد حين. فحملها كال بين ذراعيه الى الفراش، حيث أعانها بتجفيف دموعها. ثم رفع غطاء الفراش وغطى ساقيها وهي لابسة ثوبها.

وقال لها:

- اصابتك هزة عنيفة... فأنت بحاجة الى النوم. اضطجعي وحاولي أن تريحي اعصابك.

فأطاعته ومالت على جنبها وهي تتأوه، ثم لم تلبث أن غرقت في النوم.

وحين استفاقت كان الوقت عصراً. وقالت لها ماريا عندما دخلت المطبخ لتشرب قدحاً من القهوة:

- السيد برنارد ذهب الى القرية ليستعمل التلفون الجديد.

وكانت انطونيا، عند مرورها في القرية ذلك الصباح لاحظت غرفة التلفون العمومية التي بنيت حديثاً في الشارع.

وبعد حين عاد كال وقال لها:

- تحدثت الى خالك بالتلفون، فوعدني أنه سيتولى أمر احضار باكو الى فالنسيا غداً.

- لماذا؟ لماذا سيحضره الى هناك؟

- لأنني أريدك أن تقابليه... وبذلك فقط تتأكدان من حقيقة ما يشعره واحدكما نحو الآخر.

- لو كان باكو يحبني كما أريد أن أحب، لما سمح لهم أن يشتروا حبه لي بوظيفة مهما كانت عالية... لا أريد أن أراه... فأنا

احتقره!

فقال لها كال بلهجة جافة:

- الحب شعور غريب، فهو لا يتوقف على مجرد الاعجاب وكثيراً ما يتغلب على كل رأي حكيم.

فأجابته بنبرة تدل على اعتقاد جازم:

- لا. لا. الاعجاب ضرورة للحب... اذ كيف تحب شخصاً آخر اذا كنت لا تحترم سلوكه أو ذكاءه أو غير ذلك من الصفات التي لا تزول بزوال نضارة شبابه؟

فحدق اليها ملياً وقال:

- نعم، أراك كبرت ونضجت... وعلى كل حال أريدك أن تلتقي باكو... هذا أضمن لمستقبلنا... لن نذهب الى بيت والدتك الليلة، فالأفضل ألا تريها أو تري خالتك حتى يتسنى لك الوقت الكافي لتدركي ان ما فعلنا انما كان لصالحك.

- اصدق ذلك عن أمي لا عن خالتي... فهي لم توافق على زواج أمي بأبي، وهي لم تحبني يوماً... ولذلك أظن ان غايتها الوحيدة كانت منع زواجي من شخص تعتبره أدنى من شأننا.

- آراء خالتك مرّ عليها الزمن. وكما قلت، فالصفة التي تبقى في آخر الأمر، ليست الحسب والنسب. ولعل باكو لم يحبك بمثل السهولة التي تتصورينها. فحتى في هذه الأيام، هنالك مخاطر تتعرض لها فتاة من طبقة ثرية تتزوج فتى من طبقة فقيرة. ولا ريب عندي أن خالتك وامك اقنعتاه بأنه اذا كان بالفعل يحبك، فعليه أن يضحي بعلاقته بك...

- نعم، احب أن اعتقد ذلك، ولكن كيف لي وقد قبل المكافأة التي منحوها له؟ فلو كان يحبني لرفضها... وأنت، اما كنت تفعل ذلك لو كنت محله؟ قل، اما كنت تفعل ذلك؟

ـ مبادرات كهذه اكثر مما يستطيع شخص فقير أن يقوم به. . .

وعلى كل حال، فلو كنت محله لساومت معها في الأمر على أن اقبل الوظيفة مقابل ألاّ اراك لمدة سنة، فاذا احتفظنا بحب واحدنا للآخر، فعلينا أن لا نقفا في وجه زواجنا. وفضلاً عن ذلك، كنت وضعت شرطاً آخر لا اتنازل عنه على الاطلاق، وهو أن اقابلك قبل ان افارقك. . .

وكانت ماريا اعدت لعشائها طعاماً اشتهرت به، وهو كناية عن ضلوع عشبية ومطبوخة بالبقدونس ساعات من نقعها بعصير البندورة والقرفة. فتناولت انطونيا قليلاً من هذا الطعام الشهي، فيما اكثر كال منه لأن شهيته لم تتأثر بما حدث.

وبعد أن عادت ماريا الى بيتها كالعادة لتقضي ليلتها، قضى كال وانطونيا السهرة في الاستماع الى الموسيقى، ثم اقترح الذهاب الى النوم.

وقال كال:

ـ عوض ان أجعل ماريا تستعمل مادة فرشتي لأنام في غرفة اخرى، ارى انه من الأفضل أن استلقي على احد المقاعد. . . فهذه ليست المرة الأولى التي أفعل فيها هكذا.

هذه ليلة ثانية تنام فيها انطونيا نوماً مضطرباً، وعندما أفاقت لم تكن في أحسن احوالها. . . كانت تمانع في لقاء باكو، ولم تفهم لماذا يصر كال على هذا اللقاء. فهل انه كان يأمل أن يعود حبها الى الحياة حالما يقع نظرها على باكو، وبذلك تترك له حرية تجديد علاقته بدنيانا؟

وفي اليوم التالي، بعد تناول طعام الفطور بقليل، اندهشت ماريا حين ودعاها وعادا من حيث أتيا في اليوم الفائت.

وعلى مسافة أربعين كيلومتراً من المدينة، حول كال اتجاه السيارة عن الطريق العام في اتجاه مدينة كوليرا، ومن هناك اتبع طريقاً فرعية بمحاذاة الساحل الى قرية يؤمها السياح لجمالها، فحجز غرفة في أحد الفنادق التي تطل على البحر.

وكان الحر شديداً، وبعد أن اغتسلا دخل كال الى غرفة التلفون. وحين خرج قال لانطونيا:

ـ تحدثت الى خالك، فقال لي ان باكو سيصل الى هنا في الرابعة بعد الظهر، فعلينا أن نترك له خبراً في المطار بأن يلاقيك في مكان ما. . . فأين تريدين أن تلاقيه؟ في أحد الفنادق؟

ـ كلا. . . لا أريد أن الاقيه في احد الفنادق. . . قد يرانا أحد يعرفني، وهذا يسبب لي حرجاً.

ـ ما رأيك أن تلاقيه في مكان كنتما تجتمعان فيه؟

ورجعت انطونيا بالذاكرة الى اماكن لقاءاتها السرية مع باكو، فكانت كلما تسترجع أحداثاً جرت في الحلم، وشعرت أن الحقيقة موجودة هنا في تلك الغرفة مع ذلك الرجل الذي اصبحت تحبه بكل قلبها والذي لا تجرؤ على مكاشفته بحبها له، مخافة أن ترى في عينيه ما يشير الى انه لا يستطيع أن يبادلها الحب!

وقالت له:

ـ كنا نجتمع احياناً في مقهى يدعى سانتا كاتالينا. . .

فنهض كال الى التلفون وطلب المطار وترك خبراً لباكو بأن يلاقي انطونيا في ذلك المقهى. ثم اقترح عليها أن يقضيا ما لديهما من وقت في السباحة، لأن البحر رائق وممتع.

وبعد أن سبحا قليلاً استلقيا على رمال الشاطىء. وبدا كال في منتهى الهدوء والراحة، ولكن انطونيا كانت متوترة الأعصاب، تحدق الى البحر وهي غارقة في التأمل والتفكير.

ثم تناولا طعام الغداء على الطريقة الاسبانية. وكان كال يأكل

بشهية كعادته بخلاف انطونيا التي كانت مشغلة البال تسائل نفسها عما يتوقعه باكو من وراء دعوته للمجيء الى فالنسيا، وماذا سيكون شعوره حين يجد خبراً بالذهاب الى المكان الذي سبق لهما أن التقيا فيه كعاشقين.

وسألت كال فجأة:

ـ وأنت، ماذا ستفعل وأنا في مقهى سانتا كاتالينا؟

وكان كال يراقب الجالسين حول طاولة بجوارهما، فحوّل وجهه نحو انطونيا ليرد على سؤالها بهدوء قائلاً:

ـ سأوصلك الى المقهى وأعود الى هنا... فلا لزوم لانتظارك هناك، بامكانك أن تستأجري سيارة تنقلك الى هنا، اذا شئت. اعني انك لست مضطرة الى العودة اذا كنت غير راغبة فيها.

فاتسعت حدقتا عينيها ولكنها كبحت جماح غضبها من كلامه وقالت بهدوء:

ـ انا زوجتك!

ـ اعرف ذلك، ولكنك لست عبدتي... فأنا لا اريد أن تكوني زوجتي، بالرغم عنك!

فارتجفت شفتاها وهي تقول له:

ـ لعلك أنت لا ترغب في أن اكون زوجة لك!

وحين نهضا عن الطعام كان وقت ذهابها الى موعدها مع باكو قد حان. وفي الطريق الى هناك كان كال يحدثها لماماً وبلهجة لا تأثر فيها ولا توتر. وكانت المدينة حين وصلا اليها، لا تزال في فترة هدوئها، كما في عصر كل يوم معظم ستائر الشبابيك مسدلة، مما يشير الى ان وقت القيلولة لم يبلغ نهايته بعد.

وكان كال يعرف المدينة جيداً، فلم يكن يحتاج الى انطونيا لتدله الى المقهى. وما أن وصلا الى هناك حتى نزل من السيارة وفتح لها

الباب فقالت له:

ـ سأراك فيما بعد...

وأغلق كال الباب ونظر الى وجهها المضطرب وقال بعبوس ظاهر:

ـ ارجو ذلك...

وفيما هو يدخل السيارة ليقودها تطلع نحوها وقال:

ـ اريد سعادتك قبل كل شيء يا انطونيا... فاذا كنت لا تزالين تحبين باكو، فسأعين عليك الحصول عليه... انت تقولين انه لم يعد يعني شيئاً لك، وعما قريب ستتأكدين اذا كان اعتقادك هذا صحيحاً... ولا تعودي اليّ الاّ اذا كنت مستعدة، ليس بالضرورة لأن تحبيني، وانما على الأقل لتقبلي حبي لك!

ودخل السيارة بقامته الفارعة وانطلق من دون أن يترك لها مجال الرد على كلامه. وعبثاً صرخت تناديه، لأنه لم يكن بامكانه أن يسمعها أو أن يراها. وما لبثت السيارة أن توارت عن أنظارها وبقيت كلماته وحتى لفترة ترن في مسامعها. فأدركت انه اذا كان قد أغرم بديانا ويستر يوماً، فهو لم يعد مغرماً بها بعد. فهو لم يكن من الرجال الذين يقولون ما لا يقصدون.

وفكرت أن تستأجر سيارة وتلحق به، ولكنها تذكرت أن باكو بانتظارها في المقهى ويجب أن تصرف خمس دقائق على الأقل معه.

وكان باكو، بالفعل بانتظارها وهو يرتدي بزة صيفية، ويداعب احدى فتيات المقهى.

وسرها ألا يكون كال معها ليرى أي شاب هو هذا الذي اعتقدت انها تحبه حتى الموت. وعندما لمحها باكو مقبلة نحوه تصنّع القلق والاضطراب ولم يقف ليستقبلها فقالت:

ـ كيف حالك، يا باكو!

ـ بخير، وأنت؟

وافسح لها مجال الجلوس الى جانبه على المقعد، كما كان يفعل في السابق. ولكن انطونيا أخذت احدى الكراسي وجلست قبالته، وبذلك تسنى لها أن تنظر اليه وجهاً الى وجه، وأن ترى في المرآة جميع الحاضرين في المقهى.

وقالت له:

- لن آخذ من وقتك كثيراً. أعرف انك تتوق الى رؤية عائلتك. وأنا وقتي ضيق ايضاً، لا يسمح لي بالجلوس معك طويلاً...

وهنا جاءت الخادمة، بابريق من الشاي وقطعة من الحلوى، كما كانت تفعل من قبل. فاعتذرت انطونيا قائلة للخادمة:

- لا، لا، شكراً. لم اطلب هذا لنفسي.

وقال باكو للخادمة ايضاً:

- وانا كذلك ولكن لا بأس. دعي كل شيء على الطاولة.

وفيما ابتعدت الخادمة عنهما، قال لانطونيا:

- تقولين انك مستعجلة... مع انه قيل لي انك تريدين ان تجتمعي بي!

- كل هذا الوقت حتى البارحة كنت أعتقد انك ميت. ولكن زوجي أخبرني الحقيقة، فشعرت بضرورة لقائك... كيف استطعت أن تكون شريكاً في هذه الخديعة يا باكو؟ لم اكن لأصدق!

ونظر اليها بارتباك وأجاب:

- ارى انك لم تأخذي وقتاً طويلاً حتى تتغلبي على حبك لي... رأيت صوراً لحفلة زواجك في احدى المجلات. يبدو ان زوجك رجل ثري جداً... وأنا لم يكن في استطاعتي أن أهديك خاتماً ثميناً كهذا.

وأشار الى الخاتم الذي في اصبعها. فقالت له:

- المرأة لا تحتاج الى خواتم وممتلكات لتكون سعيدة، بل تحتاج الى رجل بكل معنى الكلمة. وقعت في حب زوجي لأنه مثل هذا الرجل، وسيدوم حبي له الى الأبد. كان بامكانك أن تملأ قلبي بحبك يا باكو، ولكنك لم تملأ الا زاوية صغيرة منه، وما ذلك الّا لأن حبنا كان عاطفة عابرة كتلك التي تجتاح المراهقين المفتقرين الى الخبرة والتعقل. ويؤسفني انه جيء بي الى هنا من غير فائدة ولا ضرورة... ولكن والدتك، على الأقل، ستفرح بلقائك بعض الوقت. والآن وداعاً.

ولم تمد انطونيا يدها لمصافحته، لأنها لم تشأ ان تلامس يده الناعمة الضيقة بأظافرها الطويلة. وكل ما أرادته تلك اللحظة هو أن تداعب يد كال العريضة الخشنة التي تنم عن رجولة حقة.

وحالما خرجت من المقهى وجدت تاكسي تنقلها الى حيث ينتظرها كال. ومع ان المسافة لم تكن تزيد على عشرة كيلومترات الّا انها بدت لانطونيا أطول من ذلك بكثير، وذلك لنفاد صبرها وشوقها الى الارتماء في أحضان زوجها والقول له انها لم تكن مستعجلة لقبول حبه فحسب، بل لمنحه منتهى الحب ايضاً.

ولكن عندما وصلت التاكسي الى الفندق حيث ستلتقي كال، لم تجد سيارته متوقفة هناك مع سائر السيارات. وقال لها البواب وهو يناولها مفتاح الغرفة:

- لا، لم يعد السيد برنارد بعد!

وراحت انطونيا تفكر أين يمكن أن يذهب، وتساءلت متى سيعود؟ وصعدت مسرعة الى الغرفة وهي تميل الى الظن أنه ربما ذهب لمقابلة خالها نيرو اكين. وأخذت تصيح بصوت خافت: اوه، اين انت يا كال، اين انت يا حبيبي!

وبعد ساعة سمعت طرقاً على الباب، فهبت مسرعة الى فتحه فاذا بها تجد الخادمة وقد جاءت لترتيب الغرفة. وبدأت انطونيا الآن

تخوف من أن يكون أصيب بمكروه، ولكنها صرفت عنها هذه الفكرة وحاولت اقناع نفسها بأن كال لا بد أنه في احد المقاهي على شاطىء البحر يقتل الوقت، ريثما تنتهي من مقابلتها لباكو.

ولما لم تستطع الانتظار أطول مما انتظرت، نزلت الى الطابق الأرضي وخرجت من الفندق لتروح عن نفسها بالسير في المدخل ذهاباً واياباً الى أن يحضر.

وفيما هي كذلك لمحت سيارته فأسرعت الى لقائه وقالت له وهو ينزل من السيارة:

- ظننت انك لن تعود... فأين كنت؟

فأجابها قائلاً:

- كنت بجانب البحيرة. لم انتظر عودتك بهذه السرعة!

- عدت من زمن طويل!

وفيما هو يقفل باب السيارة ويضع المفاتيح في جيبه، مالت اليه وقالت ملتمسة:

- ارجو ان تخبرني ماذا كنت تقول لي قبل ان تفارقني؟ هل قلت انك تحبني؟ كال، كال... خذني بين ذراعيك... خذني!

وتعانقا لمدة طويلة، وكانت تطول الى الأبد لو لم يقطعها صوت رجل اسباني بالانكليزية يقول:

- آسف لازعاجكما، ولكني لا اقدر أن ادخل الى سيارتي الا من هذه الجهة، فعفواً!

فأفلتها كال من بين ذراعيه واعتذر للرجل... فقال الرجل مبتسماً:

- يبدو لي انكما في شهر العسل...

أجابه كال وهو يبتسم ويحدق الى انطونيا:

- نعم، نحن في شهر العسل بعد طول انتظار!

وسار كال وانطونيا الى الغرفة. وكان كال سيمر لأخذ مفتاحها، ولكن انطونيا بادرته بقولها:

- المفتاح معي...

ودخلا المصعد، فعانقها كال برفق مرة اخرى. وقبل أن يتوقف المصعد بدأت انطونيا تشعر بقلبها يكاد يتوقف.

وفي الغرفة، اغلق كال الباب وقفله. وهكذا أصبح هو وانطونيا وحيدين لا يقطع عليهما أحد حبل خلوتهما التي طالما انتظراها بفارغ صبر.

وقالت له انطونيا:

- كنت تعسة جداً، لأنني كنت أظن انك لا تزال تحب ديانا، وانك لن تحبني أنا.

فعبس وصاح بها:

- انا؟ احب ديانا ويستر؟

- نعم!

- وكيف تظنين ذلك؟ أي انسان وضع هذه الفكرة الخاطئة في رأسك؟

- انت، فحين عرفتني عليها أدركت ان علاقتك بها لم تكن علاقة عابرة. وفيما بعد أخبرتني اختك انك اردت مرة أن تتزوجها. واختك لم تخبرني بالأمر عن سوء نية.

- شائعة كهذه دائماً تسيء وتضيع الحقيقة. لم اشأ في اية مرحلة من علاقتي بها أن اتزوجها... كل ما في الأمر اننا كنا نرافق بعضنا.

- لعلها اعتبرت أن علاقتكما جدية اكثر مما اعتبرتها أنت. وفي تلك السهرة التي تقابلنا فيها، بدت كأنها تخبرك انها غيرت رأيها بشأن الزواج وأصبحت مستعدة لتصبح زوجتك اذا كنت لا تزال تريدها...

- هل يعقل هذا بحضور زوجتي؟ زوجتي التي لم يمض على زواجي بها إسابيع معدودة؟ كيف يكون ذلك؟ ديانا امرأة وقحة وجريئة ولكني لست الى هذا الحد... فالواقع انك تركت مخيلتك تجمح بك بعيداً جداً.

- الانسان تجمح به مخيلته حين لا يعلم أين موقعه بالضبط... الم تقل لي أنت ان زواجنا لم يكن نتيجة حب...

- هل قلت لك هذا الكلام؟ متى؟

- دائماً! هكذا كان انطباعي.

- اذن، فأنت على خطأ. وقعت في غرامك كفتى في العشرين، والشهران المنصرمان كانا لي كالجحيم لأنني كنت اشعر ان مجرد ملامستي لك تزعجك... آه، كم كنت ارغب في ان اضمك بين ذراعي طويلاً!

- آه يا حبيبي... هل تعني بالفعل ما تقول؟

- سأريك ذلك بالفعل لا بالقول...

وعندما استفاقت في الصباح وجدت رأسها على كتف كال، فيما ذراعه تطوق خصرها. وشعرت كأنها فراشة خرجت أخيراً من شرنقتها وأخذت تخفف جناحيها للطيران في وجه الشمس.

وكان كال لا يزال راقداً، فلم توقظه بل اضطجعت بهدوء بين ذراعيه وهي تتلذذ بالتفكير أنها اصبحت في آخر الأمر امرأته وزوجته!

وبعد حين لاحظت ان جفونه بدأت تنفتح وان وجهه أخذ يطفح بالسرور والبهجة عندما وعى انها الى جانبه.

وقال لها:

- صباح الخير... هل نمت نوماً هانئاً؟

- على غيمة من السعادة...

فتمطى واندفع خارجاً من الفراش قائلاً:

- دعينا نستحم...

- معاً؟

- نعم، ولم لا؟ الزواج هو منتهى الاتحاد!

وبعد نحو ساعة، عندما جلسا حول المائدة لتناول طعام الفطور في غرفة الطعام، شعرت بسعادة امرأة خرجت لتوها من بين ذراع حبيبها الذي هو، في الوقت ذاته زوجها.

وقالت له:

- هل تعلم ماذا يقال عن الزوجة في اسبانيا؟

- كلا، ماذا؟

- يقال عنها انها نصف الرجل الضائع... فهل تعتقد أنت انك وجدته الآن؟

فنظر اليها بعينيه الزرقاوين المليئتين بالحب والحنان وأجاب:

- نعم، أعرف جيداً أني وجدته حين وجدتك!